قضايا إسلامية

الإسلام والطب

محمد عبد الحميد البوشى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

قضايا إسلامية

الإسلام والطب

محمد عبد الحميد البوشي

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٦

الإهـــداء

إلى كل محب للبحث تواق إلى معرفة أسرار العلوم .

إلى كل شغوف بالتنقيب وراء كل مستور .

إلى الذين يرغبون فى معرفة أسرار القرآن الكريم .

إلى كل من خفيت عليه أسرار السنة المحمدية .

إلى كُل هؤلاء أهـدى هذا البحث المتواضع الذى هدانى الله إليه فى معرفة ما اشتملت عليه التعاليم القرآنية والسنة النبوية من الحقائق الطبية ، ومن يهد الله فهو المهتدى .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

قال صلى الله عليه وسلم :

« إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ، ونور الأبصار وضيائها ، وروح الأرواح وسر بقائها وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد ..

فالطب من العلوم الضرورية فى العمران وقد لازم وجود الإنسان سواء من الناحية الوقائية ، أو العلاجية . فأخذت منه كل أمة بقدر استعدادها وحاجتها وظروفها وما زال هذا العلم يتطور ويتقدم شيئاً فشيئا حتى وصل إلى ما وصل إليه من التقدم الباهر فى عصرنا الحاضر .

وبالإجمال إنه ليس فى العالم القديم أمة لم تتعاط صناعة الطب كثيراً أو قليلا ذلك لأنه من ضروريات الحياة والعمران .

ولما كان هذا الموضوع يرينا ناحية من نواحى العقلية الإنسانية فى سذاجتها الأولى رأينا أن نلم بناحية من تاريخ الطب عند الأمم القديمة قبل أن نتحدث عن الطب ونظرة الإسلام إليه .

الطب عند الأمم القديمة

كان العلاج الطبي قديماً يقترن بالعبادات والطقوس الدينية وكان الكهنة ورجال الدين القدماء يمارسون مهنة الطب ويداوون العلل والأمراض المختلفة فضلا عن وظيفتهم الأساسية وهى وعظ الناس وإرشادهم ولذلك فقد كانوا يتحكمون فى أجسام الناس بالإضافة إلى تحكمهم فى نفوسهم وكان الكثير من المعابد تستخدم أيضاً كمستشفيات وكمعاهد لتدريس علوم الطب للمبتدئين من رجال الدين .

وتشير الآثار التاريخية إلى أن رجال الدين فى كل من مصر القديمة وبلاد الأغريق ، وبابل ، والهند ظلوا يقومون بأعمال الأطباء والصيادلة منذ نحو عام ٤٠٠٠ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد حتى ظهور المسيحية .

الطب عند قدماء المصريين

كان للطب عند قدماء المصريين شأن عظيم وكان له أقطاب صرفوا العمر في دراسته والتنقيب عن أسراره ، وهم أول من وضعوا أساسه والفوا فيه الكتب وكان لكل مرض طبيب خاص لا يتعاطى معالجة غيره . حتى أن أبقراط كان يستعين ببرديات مصرية طبية على نحو ما ذكره في كتابه الفصول .

وقد عني الباحثون بأمره أمثال العلامة الأثرى أحمد كمال باشا رحمه الله الذي يقول : ان العلوم المصرية كانت مدونة في دائرة معارف رسمية تقع في اثنين وأربعين مجلداً وكانت المجلدات الستة الأخيرة منها خاصة بالطب على الترتيب الآتى :

تركيب الجسم الانسانى ، الأمراض ، الأعضاء ، العلاجات ، أمراض العيون ، أمراض النساء .

وكان فراعنة مصر كلفين بتعلم الطب ، وأقدم من ألف في الطب منهم الملك « تتا » أخو الملك « مينا » وهو أول من ألف كتاباً في التشريح جددت كتابته في عهد رعمسيس

الثانى الذى حكم مصر فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

ثم من بعده « أنوبيس » ابن الملك مينا وقد ألف فى الطب والصيدلة وترك اربعين مجلداً طبياً .

ثم الملك « نيتى » ابن الملك « مينيس » من ملوك الأسرة الثالثة فقد وضع كتاباً فى الطب وأشهر من ظهر فى هذه الأسرة هو الطبيب « جم صيث » وكانت له شهرة فائقة فى فنه وبراعة عظيمة فى علمه بدليل دفنه بما كان يدفن به الملوك وحدهم من مظاهر الأكرام والتبجيل وجعل قبره بجوار قبر الملك فى هرم سقارة وكان لقبه الرسمى « صاحب الأسرار والأرقام » ويعتبر فى تاريخ قدماء المصريين أول طبيب فرعونى .

وكان جمهور الأطبـاء من طائفة الكهنة كما كان الشأن فيما يتعلق بعلم الفلك والشريعة وغيرها . وكان الطلبة ياخذون العلم عن المعابد وأشهرها معبد منفيس وطيبة وسايس وكانوا يحملون المرضى إلى المعابد لأجل العناية بهم هناك .

وكان للأطباء المصريين بعض الامتيازات مثل إعفائهم من الضرائب . كما كان المرضى يقدمون إلى الأطباء هدايا نظير علاجهم بدل الأجور .

مصدر علم الطب :

كان مصدر علم الطب عندهم أحد أمرين .

الأول : وحي إلهي . فقد كانوا يعتقدون أن « توت » إله العلوم هو الذي أوحى علم الطب وكان يعرف بأنه مستودع الأسرار السحرية .

الثاني : علم ملكي . ولذلك كان على الطبيب ألا يتخطى ما في الكتب المقدسة من الأصول تفاديا من عقوبة القتل[1] .

علم التشريح :

كان علم التشريح متأخراً جداً عند قدماء المصريين ، وبراعتهم في تحنيط الجثث لم تكسبهم كبير شيء في معرفة أعضاء الجسم الداخلية لأن المشتغلين بهذه الصناعة كانوا محتقرين جداً في نظر مواطنيهم ، وكان عملهم لا يتعدى استخراج أحشاء جثة الميت المهيأة للتحنيط وهذا لا يفيدهم شيئا من حقائق علم التشريح .

وكان قدماء المصريين يعتقدون كغيرهم من الأمم المعاصرة

(١) يقول الدكتور نجيب رياض مدير المتحف الصحي لمدينة القاهرة لم يكن الطب عند قدماء المصريين متصلا بالسحر وأكبر برهان على ذلك أن الطبيب المصري القديم كان إذا اشتغل بالسحر مصيره الشنق .

لم أن أسباب الأمراض أرواح شريرة تستولى على الأجسام فتمرضها وكانت مهمة الطبيب عندهم إخراج العامل المرضى من الجسم ثم إصلاح ما فسد منه .

وقد تجمع لدى قدماء المصريين شىء من معرفة خواص بعض النباتات والمعادن واستخدموا العقاقير كالشراب واللعوق والمراهم وعرفوا الجراحة والجبائر والتدليك والعلاج الطبيعى . وكانت الرقى من أهم أركان الطب عندهم لإبعاد الأرواح الشريرة عن الجسم .

الجراحة :

الاطباء المصريون هم أول من عرف الجراحة فى العالم . فقد جاء فى أوراق البردى المصرية القديمة أن قدماء المصريين قاموا بإجراء عمليات جراحية يرجع تاريخها إلى ستة آلاف سنة كما عثر على لوحات مصرية قديمة تصور طريقة إجراء الجراحات فى ذلك الوقت .

أول تذكرة طبية « روشتة » :

عثر المنقبون فى مقابر قدماء المصريين على تذكرة طبية كتبها طبيب مصرى وهى تعتبر أقدم تذكرة طبية عرفها تاريخ الطب وقد جاء فيها .

« نعطيك أنخر الأطياب مراً قاطراً خمسمائة شاقه وقرفة عطرة نصف ذلك . ومائتين وخمسين قصب الذريرة وخمسمائة سليخة ؛ ومن زيت الزيتون هينا وتصنع من ذلك كله دهناً مقدساً للمسحة » .

معرفة جنس الجنين :

ليست محاولة معرفة جنس الجنين جديدة وإنما هى قديمة حاولها قدماء المصريين وذلك بأخذ عينة من بول الأم ومزجها بخليطين أحدهما من البلح والرمل والشعير والثانى من البلح والرمل والقمح فإن استنبت القمح كان الجنين أنثى وإن استنبت الشعير كان الجنين ذكراً .

وإن كان التاريخ القديم لم يحدثنا عن مبلغ صحة هذه المحاولة

منع الحمل « تحديد النسل » :

عملية تحديد النسل بدأت عند قدماء المصريين وأنهم استخدموا فى ذلك أدوية تشبه إلى حد بعيد الأدوية الحديثة وهى عبارة عن مركب مكون من « عسل النحل وصمغ عربى » وهذا المزيج ينتج حامضاً عضويا يسمى حامض « اللاكتيك » الذى يعتبر الآن من الأحماض الفعالة فى منع الحمل .

شلل الأطفال :

سبق الطب المصرى القديم العالم فى معرفة الاصابة بمرض شلل الأطفال ففى كثير من المراجع والمتاحف الطبية نجد صورة كاهن منقوشة على جدار أحد المعابد يرجع تاريخها إلى خمسة آلاف سنة وتظهر الصورة إصابة فى ساقه اليسرى مصحوبة بضمور الساق وسقوط القدم إلى أسفل بما يثبت فوق كل شك أن « فيروس » الشلل عاصرت أجدادنا الأولين من قدماء المصريين .

مرض البلهارسيا :

كشف الدكتور نجيب رياض مدير المتحف الصحى لمدينة القاهرة النقاب عن حقيقة علمية تاريخية كانت تعتبر بمثابة الحلقة المفقودة وذلك فى أثناء إجتماعات المؤتمر الدولى للبلهارسيا .

فقد أثبت بالقرائن العلمية أن قدماء المصريين عرفوا منذ خمسة آلاف سنة مرض البلهارسيا وكانوا يسمونه « ماع » وعرفوا الدودة المسببة له وكانوا يسمونها « جرون » وعرفوا وسيلة علاجها وكانت « الأنثيمون » .

كما قدم الدكتور حسن كمال ورقة بردى لهذا المؤتمر أثبت

فيها أن المصريين القدماء قد اكتشفوا فعلا هذا المرض وعالجوه بمركبات « الأنتيمون » .

شيء من علاجهم :

١ — استخدم المصريون القدماء اللحم النيّء لعلاج أورام العين « مكمدات » .

٢ — وكانوا يعالجون تعفن الأسنان بتدخين بذور البصل .

علاج تضخم الأوردة :

جاء ذكر هذا المرض وعلاجه في كتاب مصري قديم مكتوب على ورق البردي يرجع تاريخه إلى سنة ١٥٠٠ ق م .

طلاء الأظافر :

ذكرت بعض الآثار المصرية القديمة أن عادة طلاء الأظافر بالألوان المختلفة لتجميلها كانت معروفة عند قدماء المصريين كما كانت منتشرة بينهم على نطاق واسع .

الطب عند البابليين والكلدانيين والاشوريين

يوجد تشابه كبير بين الطب عند هذه الأمم وبينه عند المصريين فقد كانت الرقى والتعزيمات أساس الطب عندهم كما كان عند المصريين .

وكان عندهم أطباء من غير هؤلاء كما كان عند المصريين .

وكان البابليون يضعون مرضاهم فى الأزقة ومعابر الطرق حتى إذا مر بهم أحد ممن أصيب بذلك الداء أعلمهم بسبب شفائه وكيفية توصله إليه .

وكانوا يكتبون أسماء العقاقير أو الوسائل التى يحصل بها الشفاء على ألواح يعلقونها فى هيكل شيدوه على اسم إله الطب عندهم فكانت تلك الألواح أول كتاب عندهم كتب فى علم الطب .

أما الكلدانيون الآشوريون فكانوا من طائفة السحرة وكانت قوتهم كلها تنحصر فى هذه الصناعة فكان جل اهتمامهم موجها إلى معالجة المريض بالرقى ولكنهم مع ذلك كانوا يصفون له تعاطى بعض الأعشاب .

وكانت عقيدة الكلدائيين أن الناس محاطون بالأرواح من جميع الجهات منهم الطيب والخبيث والطائفتان فى حرب مستمر. والأمراض تعزى إلى الأرواح الشريرة الخبيثة .

الطب عند الصينيين :

يقول مورخو الصينيين إن الطب ظهر عندهم من زمن بعيد جدا ويقولون إنه كانت لديهم حدائق لتربية النباتات الطبية قبل المسيح بثلاث آلاف سنة .

وإن الأمبرطور « هوانج تى » ألف لهم كتابا فى الطب حوالى سنة ٢٦٠٠ ق م وهذا الكتاب باق عندهم إلى اليوم وقد استفاد الأوربيون من معارفهم الطبية فقد ذكر القس « روهالد » الأطباء الصينيين وأثنى عليهم . وإن العالم «بوردو» أخذ مباحثه فى النبض عن الكتب الصينية .

وكان أكثر اهتمام الصينيين موجها إلى اتقاق علم المادة الطبية وكتابهم المسمى « نبتاد » يذكر ١١٠٠ مادة ويسرد خصائصها العلاجية ، وهو يعتبر كنز المادة الطبية العلمية عندهم .

الطب عند الهنود :

انتقلت صناعة الطب من البابليين رأسا إلى الهند والفرس وغيرهم من الأمم الشرقية . وكانت صناعة الطب بين الكهنة البراهمة من الهنود .

وقد اعترف اليونانيون القدماء أيام مدنيتهم بأن الطب الهندى أرقى من طبهم فقد تكلم أبقراط كثيرا عن علاجاتهم وكان « تيوفراست » يذكر أعشابا كثيرة طبية أخذها عنهم .

وكانت أركان الطب قائمة عند الهنود على قواعد وهمية تشهد بذلك كتبهم الدينية والطبية فهى ملأى بالتعزيمات والرقى والوصفات السحرية .

وفى كتابهم المسمى « ريجنيدا » تنويه بخصائص شفائية لأعشاب كثيرة ، ونجد بجانبها دعوات تتلى لإزالة كثير من الأمراض وهذه الدعوات يجب أن توجه أولا وبالذات لآلهة الشفاء .

ثم ظهر بعد ذلك العلم الطبي بمعناه الصحيح على يد جماعة البراهمة أنفسهم . أما زمن ظهور ذلك العلم عندهم فمما لا يستطاع تحديده وتعيينه .

ولكنه مع ذلك لم يخل قط من الاختلاط بعقيدة الأرواح الشريرة .

الطب عند الاسرائليين :

كان الطب عند الأسرائيلين محتكرا عند رجال الدين ولم يكن علم التشريح معلوما لديهم لأن دينهم كان يحرم التشريح بل كان الإسرائيلى لا يستطيع أن يلمس جثة إنسان ميت أو حيوان وإلا اضطر أن يتطهر . أما عقيدة اليهود فى الأمراض فكانوا يعتقدون أنها عقوبة مرسلة من الله تعالى . فإذا انتشر الطاعون مثلا بينهم قالوا : إن ذلك نتيجة عصيانهم للأوامر الآلهية ؛ وكان ينذر بعضهم بعضا بفشو الأمراض كلما نقضوا الناموس الإلهى ، وكان ذلك يقوم مقام الإنذار بالعذاب الأخروى الذى كانوا ينوهون به فى مواعظهم ، ومع كل ذلك فقد كانوا يعزون بعض الأمراض لأسباب طبيعية كتراكم الصفراء أو فساد الهواء أو تغيرات الجو أو عصيان قانون الصحة أو حلول عفريت بالجسم لادواء لإخراجه إلا بالرقى والتعزيمات .

وقد وجدت بالتلمود - « وهو كتاب الشرع اليهودى » مبادىء علمية طبية لسير الأمراض وتشخيصها وغير ذلك .

الطب عند الفرس :

انتقلت صناعة الطب من البابليين إلى الفرس كما انتقلت إلى الهند .

ويرجع تاريخ الطب عند الفرس إلى القرن الرابع قبل المسيح عليه السلام وأصوله الأولية مذكورة فى كتابهم المسمى « زندافستا » وهذا الكتاب أحدث عهدا من كتاب الفيدا الهندية المقدسة والذى يختص بالطب من كتاب « زندافستا » هو الفصل الذى عنوانه « فنديداد » تحت عنوان « فرجاد » . ومع ذلك فقد كان الطب عندهم خليطا من التعزيمات والرقى وشىء من المبادىء الطبية العلمية وعندهم أن إله الشر «إفريمان» أطلق جميع الأمراض وسلطها على الناس ، وعارضه فى ذلك إله الخير « أرموزد » وعلم النـاس جميع الأدوية الضرورية لحفظ صحتهم .

الطب عند اليونانيين :

يعتبر اليونانيون هم الذين اجتازوا الشهرة فى علم الطب لأنهم هم الذين بوبوه ورتبوا أبوابه . ولم يبدأ الطب عندهم بحياة

« أبو قراط » بل كان موجودا قبله بدليل أنه كان ينقل عن مؤلفات سابقة على عهده لم يصل إلينا منها شيء .

وقد كان الطب عندهم فى مبدأ تكوينه سحريا وسائله الرقى والتعزيمات وكان من الصناعات السرية التى يحرص عليها رجال الدين وكانوا يتناقلون هذه الصناعة تلقيا يتوارثها الأبناء عن الآباء ولذلك فإنهـــا كانت محصورة فى بعض أسرهم دون سواها .

وكان المريض ينقل إلى المعبد حتى يزوره فيه إله الطب فى زعمهم ويرى المريض فى ليلته تلك من الرؤى مايدل تعبيرها على دائه ودوائه .

ويعتبر «أبو قراط» أبو الطب عند اليونانين ظهر فى القرن الخامس قبل الميلاد وقد استطاع أن يخلص علم الطب مما كان قد اختلط به الشعوذة وعقيدة الأرواح الشريرة وبوبه ورتب أبوابه فى كتبه الطبية التى ألفها .

يروى عنه أنه قال لأحد المرضى ممن كان يعالجهم . « أنا وأنت والعلة ثلاثة فإن أعنتنى عليها بالقبول لما تسمع منى صرنا اثنين وانفردت العلة فتقوينا عليهـا والاثنان إذا اجتمعا على واحد غلباه » .

وظهر بعد أبقراط أطباء عديدون بذلوا لعلم الطب معظم أوقاتهم فى معرفة الأعشاب وتاثيرها على الجسم وآثار الأدوية. ولم يهملوا النظر فى أدوار الأمراض ومضاعفاتها حتى بلغوا شأوا بعيدا. ومن أشهرهم فيثاغورث، وفيمليمون ورفى وأندروماخوس كما ظهر فى مدرسة الاسكندرية التى أسسها بطليموس الأول والثانى « جالينوس » وكان يعتبر أنبغ طبيب ظهر فى هذه المدرسة وهو الذى سئل مالك لاتمرض فأجاب.

لأنى لم أجمع بين طعامين رديئين ولم أدخل طعاما على طعام. ولم أحبس فى المعدة طعاما تأذيت به.

الطب عند الرومانيين :

لما قامت الدولة الرومانية انتحلت الطب اليونانى مختلطا بكثير من الخرافات أما الطب بمعناه العلمى الصحيح فلم يصل إلى الرومانيين إلا على يد الطبيب اليونانى « أوكا جانوى » سنة ١٩٢ ق م فإنه عندما وصل إلى روما قوبل باحتفاء كبير ولكنه لم يلبث أن سقط إلى الحضيض لخطئه فى بعض الأعمال الجراحية.

ثم جاء من بعده أطباء آخرون من اليونان أيضا ثبتوا أصول العلم الطبى وازدهر أمر الطب بعد ذلك.

ولم يحدثنا التاريخ عن الذين اشتهروا من أطباء الرومان أنفسهم قديما وعن اليونانيين والرومانيين انتقلت صناعة الطب إلى الأمم الأوروبية الحديثة .

هذه كلمة مختصرة عن تاريخ الطب عند هذه الأمم ومن أراد المزيد فليرجع إلى ما كتب فى هذا الموضوع فى مجلة الهلال الأعداد الأولى وكتاب نزهة الأبصار وتنوير الأنظار للدكتور حسين رفائى فى تاريخ الطب القديم . وما كتبه أحمد كمال باشا العالم الأثرى عن الطب القديم .

الطب عند العرب قبل الإسلام :

كان العرب قبل الإسلام يعرفون شيئا عن العلاج والوقاية من الأمراض إما عملا بالاستقراء وإما اقتباسا ممن كانوا يخالطونهم .

لأن العرب لم يكونوا محصورين فى شبه جزيرة العرب قبل الإسلام ولكنهم اتصلوا بالفينيقيين وسكان آسيا الصغرى والجزيرة والبابليين والهنود والفرس والسريان .

كما هاجر إليهم يهود من أقطار مختلفة وكانوا على صلة بالعلوم فتعلم الطب عنهم من العرب الجاهليين أفراد إشباعا لشهوة علمية ولكنهم لم يستطيعوا نشر ما عرفوه فى أمتهم لانصرافهم عن غير ما ألفوه .

وللعرب فى جاهليتهم علاجات وعقاقير اشتهروا بها ولايزال بعضها جاريا فى بلاد العرب وغيرها إلى الآن مثل الكى بالنار والحجامة وغيرهما .

وفى بعض القبائل العربية كان العلاج يقوم به الكاهن أو العراف اعتمادا على الفراسة وهى الاستدلال بهيئة الإنسان أو شكله أو لونه أو أقواله على معرفة حالته ثم محاولة علاجه إما باقوال مأثورة أو أساطير محفوظة أو أسجاع منقولة وفى أحوال أخرى يكون العلاج بأمور لا تمت إلى الطب بصلة نتيجة تجربة مصادفة تحقق فيها الشفاء مرة بغير سببها .

فمثلا إذا ثبرت شفة الصبى حمل منخلا على رأسه ونادى بين بيوت الحى « الحلا الحلا » فتلقى النساء له صدقات فى منخلة ، فإذا التى الصبى ما فى منخله من خبز ولحم للكلاب فأكلته شفى من مرضه .

كما كان السحر عندهم والشعوذة والطلاسم والتمائم من وسائل العلاج وقد امتاز بعضهم بمعاطاة هذه المهنة من قديم الزمان فعرفوا بالأطباء ومابرح العرب يتحدثون بهم ويتمثلون بأقوالهم .

أشهر أطباء العرب فى الجاهلية

١ — لقمان الحكيم :

وهو أقدم من اشتهر بالطب عند العرب وهو الذى تحدث عنه القرآن الكريم وكتب التاريخ وهو حكيم العرب وفيلسوفهم . وإن كان فى أصله وزمن وجوده وصناعته اختلاف كثير وقد أدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وعاش ألف سنة وهو ابن أخت أيوب عليه السلام وقيل ابن خالته . قيل كان عبدا حبشيا وقيل كان سودانيا ، وكانت صناعته الأصلية نجارا وقيل خياطاً ، وكان حكيما وقيل نبياً واختار الألوسى فى تفسيره أنه كان رجلا صالحاً حكيما ولم يكن نبيا .

ولقد حدثنا القرآن الكريم عنه حكيما ومرشدا قال تعالى : (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه) وقال : (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يابنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) وقال : (يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يات بها الله إن الله لطيف خبير . يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف

وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك إن ذلك من عزم الأمور، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لايحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير .

ومن كلامه فى الطب .

كل داء حسم بالكى آخر الأمر وآخر الدواء الكى .

وقال يوصى ابنه : يابنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة ، يابنى لاتأ كل شبعا على شبع فإن إلقاءك إياه للكلب خير لك من أن تاكله

ومن قوله لمولاه وقد دخل بيت الخلاء فاطال فيه الجلوس فناداه وقال له :

إن طول الجلوس على الحاجة ينجع منه الكبد ويكون منه الباسور ويصعد الحر إلى الرأس فاجلس هوينا واخرج .

ومن أراد المزيد من حكمه وإرشاداته فليرجع إلى كتب التفسير والحديث والتاريخ فسيجد من بليغ إرشاداته وحكمه ما يعتبر دستوراً فى الإرشادات الطبية والدينية والخلقية والاجتماعية والتهذيبية .

٢ — ابن حزيم :

وهو من تيم الرباب وقد اشتهر بين العرب وكان يضرب به المثل فى الحذاقة فى الطب فيقولون لمن أرادوا وصفه بذلك :

هو أطب من ابن حزيم .

وفيه يقول أوس بن حجر :

فهل لكم فيها إلى فإننى بصير بما أعيا النطاس حزيما

٣ — الحرث بن كلدة :

وهو من أهل الطائف من بنى ثقيف وهو أبو النضر ابن الحرث الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله ، وسيد سمية أم زياد ابن أبيه .

وقد رحل الحرث إلى أرض فارس وأخذ الطب عن أهل (جنديسابور)[1] وغيرها وتعاطى صناعة الطب هناك واكتسب

(١) جنديسابور . جنوب غرب فارس ومدرستها أول مدرسة انشاها النسطوريون وهم طائفة من المسيحيين لجأوا إلى هذه المدينة فى القرن الخامس للميلاد فرارا من حكام بيزنطة وكانت معهم الترجمة السريانية لكتب مشاهير اليونان مثل إبقراط وجالينوس وصار لهذه المدرسة فيما بعد شأن هام فى التاريخ فلم يكد العرب يفتحون تلك البلاد فى القرن السابع الميلادى حتى قدروا شأن تلك المدرسة التى تخرج فيها أول طبيب عربى فى عهد الرسول عليه السلام (الحرث بن كلدة) وعن طريقها اخذ العرب علوم اليونان فى الطب .

مالا كثيرا ثم عاد إلى بلاده وأقام فى الطائف ونال شهرة عظيمة وقد أدرك الإسلام وكان النبى صلى الله عليه وسلم يامر من به علة أن يأتى الحرث فيستوصفه ما به من علة كسعد بن أبى وقاص حين أصيب فى بعض الغزوات ومن ماثور كلامه فى تعاطى العقاقير وأنه لا يجوز تناولها إلا إذا دعت الضرورة قال : (ما لزمتك الصحة فاجتنبه وإن هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استفحاله) ومنه (من سره البقاء ـ ولا بقاء ـ فليباكر الغذاء وليخفف الرداء وليقل من غشيان النساء) ومن كلامه الذى يعتبر دستورا فى الصحة قال :

(الداء الدوى إدخال الطعام على الطعام فهو الذى يفنى البرية ويهلك السباع فى جوف البرية وإياك والتخمة فهى إن بقيت فى الجوف قتلت وإن تحللت أسقمت ، وإياك ودخول الحمام شبعانا والنوم بالليل عريانا والقعود على الطعام غضباناً . وارفق بنفسك يكن أرخى لبالك ، وقلل من طعامك يكن أهنأ لنومك، وعليك بالحمية والاقتصاد فى كل شىء فإن الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ويسد مسامها) وقد مات الحرث فى أول الإسلام سنة ١٣ هـ ولم يصح إسلامه .

٤ — الشمردل بن قباب الكعبي :

كان من أهل نجران وكان على علم بالطب وقد سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنه يعلم شيئاً من الطب فأتاه ليقف على مقدار ما بلغه فاخذ يسال النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الأمراض وعلاجها فكان النبي عليه السلام يجيبه عن كل سؤال ثم سأله الرسول عن بعض الأمراض وعلاجها فبهت ولم يحر جوابا فلما تحقق الشمردل من صدق ما بلغه قال . يا محمد والذى بعثك بالحق لأنت أعلم منى بالطب ثم أسلم وحسن إسلامه .

٥ — ابن أبي رومية التميمي :

وكان معاصراً للحرث بن كلدة وقد أسلم وحسن إسلامه وشهد بدرا وأخذ فيه أسيرا .

أمثلة من علاجهم :

« كان الاعتقادالسائد عند العرب أن الأمراضعلى اختلاف وتباين أعراضها يرجع سببها إلى نقص بعضمواد مجهولة تفرزها مختلف الأعضاء .

فإذا حل مرض بعضو من الأعضاء عولج بتناول عضو مماثل

له أو بخلاصته فكانوا يصفون خلاصة الطحال لعلاج أمراض الطحال . والقلب علاجا لأمراض القلب مثلا وإلى هذا المعنى يشير الشاعر أحمد شوقى على لسان مجنون ليلى حينما قدمت إليه شاة ليأكل منها ولم يجد بها القلب فقال .

وشاة بلا قلب يداوونى بها   وكيف يداوى القلب من لا له قلب

١ — علاج حول العين . كانوا يعالجونه بإدامة النظر إلى حجر الرحى فى دورانه يزعمون أن العين تستقيم به .

٢ — الخدر — كانوا يعالجون خدر الرجل بأن يذكر الإنسان أحب الناس إليه . وفى هذا يقول شاعرهم .

رآنى الله يا سلمى حياتى   وفى يوم الحساب كما أراك
إلى كم تهجرين فتى معنّى   إذا خدرت له رجل دعاك

وبقى علاج الخدر فيهم هكذا حتى جاء الإسلام فقد روى الإمام النووى فى كتابه الأذكار عن مجاهد قال . خدرت رجل رجل عند ابن عباس رضى الله عنهما فقال ابن عباس اذكر أحب الناس إليك فقال . محمد صلى الله عليه وسلم فذهب خدره وروى عن الهيثم بن حنشى قال . كنا عند عبدالله بن عمر رضى الله عنهما فخدرت رجله فقال له رجل اذكر أحب الناس إليك

فقال . يا محمد فكأنما نشط من عقال . وكان أهل المدينة يعجبون من حسن بيت أبى العتاهية .

وتخدر فى بعض الأحايين رجله فإن لم يقل يا عتب لم يذهب الخدر

٣ — الاستسقاء — كانوا يحفرون للمريض به حفرة فى الأرض عمقها ثلاثة أقدام وطولها عشر وعرضها قدمان ويوقدون فى تلك الحفرة نارا من الصباح إلى المساء وفى المساء يخرجون النار منها ويجعلون فيها ترابا ثم يجردون المريض من ثيابه ويرقدونه بتلك الحفرة ويغطون جسده بالتراب إلا رأسه ويبقى كذلك للصباح فيخرجونه وقد خرج منه الماء وأصبح سليما .

الطب فى الإسلام

حض الإسلام العرب على التعلم والأخذ بأسباب النهوض والارتقاء فلم يدع المسلمون شيئاً بعد قيام دولتهم يمكن تعلمه إلا أخذوه وحذقوه وزادوا عليه .

ولم ينته القرن الثانى حتى كانت بلادهم مطمح أفكار المستنيرين فى كل فرع من فروع العلوم ومنه الطب الذى برزوا فيه وأوصلوه إلى درجة من السمو لايزال معها محل إعجاب الأطباء المعاصرين.

تقول الدكتورة « شوارتزهبت » وزيرة صحة جمهورية ألمانيا الاتحادية فى افتتاح المؤتمر الدولى للبلهارسيا بالقاهرة : إن الغرب لن ينسى أبداً أنه مدين للعرب بدراسة الطب وأن مؤلفات ابن سينا ، والعباس والرازى كانت هى الكتب الوحيدة التى تدرس فى جامعة « بالمرمو » التى كانت تضم أشهر مدرسة للطب فى العالم الغربى وكانت هذه الكتب قد ترجمت إلى اللغة اللاتينية .

لقد بدأت جميع الأمم عهد التطبيب بالخلط بين هذه الصناعة والعقائد الإسلامية الخرافية كما بينا إلا الأمة الإسلامية فقد بدأتها على ماهى

عليه اليوم من الاستقلال الفنى والدستور العلمى وهذه ميزة من الميزات الإسلامية الكثيرة وهى من أكبرها شأناً فى رأينا نظراً لإجماع الأمم القديمة على الخلط بين الطب والروحانيات والشعوذة.

نعم إن عامة الأمة الإسلامية فى عصور بعيدة وقريبة أخذوا أخذَ الأمم الأخرى فى هذا التخليط عن طريق العدوى التى انتقلت إليهم من الأمم الأخرى .

ولكن خاصة المسلمين المتعلمين ظلوا أوفياء لدينهم فلم يقعوا فى هذا الوهم ، ذلك أن الدين الإسلامى جرد علم الطب من خرافاته وفرض على الآخذين به جميع الأصول التى يعتبرها الطب الرسمى اليوم من التمييز بين الطب المقرر المستمد من العلوم والتجارب وبين الدجل الذى يدعيه بعض الناس لاستدرار أموال الناس بالباطل .

ويعتبر الإسلام أول من قرر مسئولية من يدعى الطب وأنه ضامن ففى الحديث الشريف « من تطبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن » أى مطالب بما يحدث من ضرر بالمريض وهذا بلا شك مبدأ يستند إليه فى تحريم مزاولة الطب على غير الذين درسوه .

كما حرم الإسلام لبس الطلاسم والتمائم حرصاً منه على عدم

التعويل إلا على الأسباب المعروفة وبعداً عن وساوس الأقدمين وخرافاتهم .

ولا يضير الإسلام وجود هؤلاء بيننا الآن فاوروبا وأمريكا وغيرهما لا تخلوا من أمثال هؤلاء مع بلوغ الطب عندهم درجة لا تبارى .

فضل العرب فى ارتقاء مهنة الطب :

« يرجع الفضل إلى العرب فى رفع كرامة مهنة الطب وتنقيح تعاليمه القديمة وإضافة مزيد من التجارب العملية الدقيقة إليه ، ولقد بلغ من ارتقاء ثقافة الطبيب فى ظل الدول الإسلامية أنه كان يشترط فيه الإلمام بأصول الدين والفلسفة والفلك والموسيقى علاوة على إلمامه بالعلوم الطبية .

كما أن الغرب مدين للعرب بإدخال نظام اختبار الأطباء قبل التصريح لهم بمزاولة مهنة الطب .

ومما ساعد أيضا على ارتقاء العرب بعلوم الطب نهوضهم بعلم الكيمياء للإفادة به فى مجال الطب واختراعهم فن الصيدلة وتحسينهم فن تركيب الأدوية بما أدخلوه من المستحضرات اللطيفة الحلوة المذاق ، وما أدخلوه من المستحضرات العربية

مثل الكحول والكافور والقرنفل والزئبق والمر والعنبر والمسك والجلاب والسناء المكى وغيرها .

وما عرفوه من إمكان التخدير بالاستنشاق واستعانوا به فى جراحتهم » .

محافظة الإسلام على الجسم والعقل :

اهتم الإسلام بسلامة الجسم والعقل فامرنا بالمحافظة عليهما ونهانا عن تعريضهما لما يضرهما قال تعالى : « ولا تلقوا بايديكم إلى التهلكة » وقال : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » وجعل الإسلام من القواعد المقررة أن كل ما أضر بالجسم أو العقل فهو حرام .

وعلى هذا المبدأ حرم الإسلام الخمر والحشيش والأفيون والزنا واللواط والاتصال بالمرأة فى الحيض والنفاس وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير والطعام المتعفن والشرب من الماء الآسن .

كما نهى عن تلويث الماء والمكان المطروق والظل الذى يجلس الناس فيه مخافة انتشار العدوى ففى الحديث « اتقوا الملاعن الثلاث البراز فى الموارد ، وقارعة الطريق والظل » وفى حديث آخر « لا تبولوا فى الماء الراكد ثم تتوضئوا منه » .

وقد أثبت الطب الحديث أن تلك الأمور تعرض للإصابة بأمراض مختلفة وهى التى تسمى فى لسان الطب بالامراض المتوطنة كالبلهارسيا والانكلستوما والدوسنتاريا والكولرا والتيفوس والرهقان .

كما نهى الإسلام عن كشف أوانى الطعام والشراب وأمر بتنظيفها قبل استعمالها وقاية لها من الجراثيم والحشرات والغبار الذى يحمل الميكروبات ففى الحديث الشريف « خمروا آنيتكم » أى غطوها .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعا إحداهن بالتراب » وسنعرض لهذا الحدث بتوسع عند الكلام عن الطب النبوى .

أمراض القلوب :

دعا الإسلام المكلف إلى معرفة أنه جسم وروح وقلب وأنه بذلك من عالمين مختلفين وإن كانا ممتزجين وطالبه برعاية جسمه والمحافظة على طهارة قلبه وأبان له أن للقلب أمراضاً تختلف شدة وضعفا كما أن للجسم أمراضا تختلف شدة وضعفا كذلك وطالبه بالمحافظة على جسمه وقلبه من تلك الأمراض

وشخص له الداء وأرشده إلى الدواء حتى لا يكون فى ضلالة ولا يتخبط فى جهالة .

يقول ابن القيم فى كتابه زاد المعاد : مرض القلوب نوعان مرض شبهة وشك ومرض شهوة وغى وكلاهما فى القرآن قال تعالى فى مرض الشبهة : « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا » وقال : « وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا » وقال : « وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا » .

وقال تعالى فى مرض الشهوة « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض » فهذا مرض شهوة الزنا وطب القلوب مسلم إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ولا سبيل إلى حصوله إلا من جهتهم وعلى أيديهم فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابه متجنبة لمناهية ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة ألبتة إلا بذلك ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل عليهم السلام .

علاج أمراض القلوب :

ليس المراد بالقلب هنا قطعة اللحم الصنوبرية الشكل التي تمثل مضختين ماصتين ومضختين كابستين لجذب الدم من القلب وتوزيعه على الجسم وبالعكس وإنما المراد بالقلب تلك اللطيفة الربانية التي أودعها الله الجسم البشرى المستعدة لتلقى العلوم والمعارف وتوجيه الجوارح إلى ما ينيط بها من عمل وهى التي يعبر عنها فى بعض الأحايين بالروح أو النفس أو الفؤاد .

وأن أشد أمراض القلوب الشرك بالله وقد وصف الإسلام لهذا الداء علاجه ممثلا فى كلمة خفيفة على اللسان محببة إلى الرحمن وهى الشهادة « لا إله الله محمد رسول الله » .

وهناك أمراض أخرى تأتى فى المرتبة الثانية بعد هذا الداء وهذه الأمراض تنحصر فى نوعين .

الأول : ما يسمى فى لسان الشرع بالكبائر مثل قتل النفس والزنا والسرقة والحقد والغيبة والنميمة وشرب الخمر ولعب الميسر وغير ذلك مما توعد الله عليه بالعقاب الشديد .

وقد وصف الإسلام لهذه الأمراض العلاج فى واحد من ثلاثة .

التوبة ، والاستغفار ، والحج المبرور .

الثانى : ما يسمى فى لسان الشرع بالصغائر كالنظرة واللمسة والقبلة للمرأة الأجنبية والسب والشتم .

وقد وصف الإسلام لهذه الأمراض العلاج فى عدة أدوية منها

١ — اجتناب الكبائر قال تعالى . « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم » .

٢ — الصلاة والصوم ففى الحديث الشريف « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر » وفى حديث آخر « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

٣ — الوضوء والصدقة وسائر الحسنات قال تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات » وفى الحديث « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » .

السعى على العيال ففى الحديث « إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا جهاد وإنما يكفرها السعى على العيال » .

الطب الوقائى لأمراض القلوب :

ومع عناية الإسلام بالطب العلاجى لأمراض القلوب لم يهمل ناحية الطب الوقائى لها فقد جعل لها طبا وقائيا ممثلا فيما شرع من تعاليم وأوامر .

الوضوء : حركة الوضوء يقصد منها ـ فوق النظافة الحسية ـ الاستعداد للصلاة فلكى يتهيأ الإنسان للصلاة ويقف بين يدى الله خاشعا يجب أن يعد ذهنه لذلك ويتخلص من شواغل الحياة الكثيرة بالوضوء الذى يحمله على أن يستريح زمنا قبل الصلاة ليستجمع قواه العقلية ويعد نفسه للخشوع أمام الله ويترك شواغل الدنيا .. وهذه حكمة من حكم الوضوء حيث يساعد على ترك التفكير الأول ويعطيه الوقت الكافى ليبدأ فى تفكير من نوع آخر .

الصلاة : الصلاة توقظ القلب والضمير وتحمل الإنسان على عمل كل خير وتبعده عن كل شر وهى وقفة ربانية روحانية ومناجاة من العبد لربه فى خشوع وخضوع وذلة وانكسار وتجرد من جميع شواغل الدنيا فتتولد عنده المراقبة لله والخوف منه والبعد عن كل ما يغضب الله قال تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

الصوم : الصوم رياضة روحية وتهذيب خلق وتربية لملكة الصبر والأمانة وقوة الإرادة والخوف من الله فيتولد عند الشخص خلق الحياء والحياء خير كله يمنع صاحبه من الوقوع فى أى فعل يعاب عليه أو يندم .

الحج : الحج يعود الإنسان على تحمل المشاق وتحمل المشاق يؤكد نية التوبة والبراءة من الذنوب أكثر مما تؤكدها الدعوات والاستغفارات فى الصيام والصلاة ، واستسهال الصعاب فى سبيل الوصول إلى غرض بذاته كان دائما الدليل على الإخلاص فى القول والعمل وعلى صدق النية فى المقاصد والاتجاهات . وفيه أيضا يقع التساوى فى الوقوف بين يدى الله بين الأفراد والطبقات المختلفة اختلافا بينا فى كل مظاهر الحياة لا فرق بين أبيضهم وأسودهم وعالمهم وجاهلهم وغنيهم وفقيرهم وكبيرهم وصغيرهم .

الزكاة . الزكاة تعود الإنسان البذل والسخاء والتضحية والعطف على الفقراء .

بهذا وغيره يتبين أن الإسلام لم يهمل أمراض القلوب من الطب العلاجى ولا من الطب الوقائى وأعطاها أكبر قسط من العناية وأوفر نصيب من الرعاية .

الإسلام وأمراض الأبدان :

يقول ابن القيم[1] : إن قواعد طب الأبدان ثلاثة حفظ الصحة ، واستفراغ المواد الفاسدة ، والحمية عن المؤذى وقد ذكر سبحانه وتعالى هذه الأصول الثلاثة فى ثلاثة مواضع .

١ — قال تعالى فى آية الصوم : « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » فأباح الفطر للمريض لعذر المرض وللمسافر طلبا لحفظ صحته وقوته لئلا يذهبها الصوم فى السفر لاجتماع شدة الحركة وما يوجبه من التحليل وعدم الغذاء الذى يخلف ما تحلل فتخور القوة وتضعف فأباح للمسافر الفطر حفظا لصحته وقوته عما يضعفها .

٢ — قال تعالى فى آية الحج « فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » فأباح للمريض ومن به أذى من رأسه من قمل أو حكة أو غيرهما أن يحلق رأسه فى الإحرام استفراغا .

والأشياء التى يؤذى انحباسها ومدافعتها عشرة الدم إذا هاج، والمنى إذا سبغ ، والبول ، والغائط والريح ، والقىء ، والعطاس،

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد جـ ٣

والنوم ، والجوع ، والعطش ، وكل واحد من هذه العشرة يوجب حبسه داء من الأدواء وقد نبه سبحانه باستفراغ أدناها وهو البخار المحتقن فى الرأس على استفراغ ما هو أصعب منه كما هى طريقة القرآن فى التنبيه بالأدنى على الأعلى .

٣ — وأما الحمية فقد قال تعالى فى آية الوضوء « وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا » فأباح للمريض العدول عن الماء إلى التراب حمية له أن يصيب جسده ما يؤذيه . وهذا تنبيه على الحمية من كل مؤذ له من داخل أو خارج .

طب الأجسام :

طب الأجسام نوعان . نوع فطر الله عليه الحيوان ناطقه وبهيميه فهذا لا يحتاج فيه إلى معالجة طبيب كطب الجوع والعطش والبرد والتعب بأضدادها وما يزيلها .

والنوع الثانى ما يحتاج إلى فكر وتأمل كدفع الأمراض المتشابهة فإذا كان سبب المرض معه فالنظر فى السبب ينبغى أن يقع أولا ثم فى المرض ثانيا ، ثم فى الدواء ثالثا .

الطب البشرى :

إن الطب البشرى يقوم على أصلين هما الوقاية ، والعلاج وقد عنى الإسلام بهذين الأمرين ووضع لهما من التعاليم والعبادات ما يكفل حصول الغرض المقصود منهما على أكمل وجه .

وفى سبيل تحقيق هذا الغرض مزج بين المنافع الروحية والمنافع الجسدية ليتأهل الآخذ به لسعادة روحه وبدنه وقد ظهر أثر ذلك فى حال المسلمين الأولين ومن جرى على سنتهم فكانوا أصفى الناس أرواحا وأقوى الأمم أجسادا

وهذه المزية فى الإسلام لا توجد فى أى دين من الأديان المعروفة لنا الآن فإنها تفرض على معتنقيها مختلف الرياضيات الجسدية للحصول على سلطان الروح بإضعاف الجسد .

والآن وقد اعتبرت تقوية الأجسام من موجبات تقوية العقل حتى قالوا :

« العقل السليم فى الجسم السليم » فسيجد الناس فى الإسلام وتعاليمه أكبر منشط لهم فى نزوعهم هذا وفى هذا دليل جديد على أن الإسلام يساير الميول الإنسانية الحقة من كل وجه .

الوقاية من الأمراض الجسمية :

أرشدنا الإسلام إلى أن الحياة التى وهبها الله إلى الناس أمانة فى أعناقهم ووديعة بين أيديهم وحثهم على حفظ هذه الأمانة وصيانة تلك الوديعة قال تعالى : «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» وقال تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » وقال عليه السلام : « إن لبدنك عليك حقا » وفى حديث آخر « من أصبح آمناً فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

هذه العناية والرعاية من المشرع الأعظم لحفظ الأجسام من كل ما يعرضها للتلف جعلته يرسم لنا طريق الوقاية من الأمراض التى تعترى الأجسام فيما فرض من فرائض وما حث عليه من تعاليم .

وقد بلغ من حرصه على صحة الأجسام أن جعل للوقاية من الأمراض تأثيراً على ما فرض من عبادات فأباح الفطر فى رمضان وعدم استعمال الماء فى الطهارة إذا خاف الإنسان المرض أو زيادته كما تجاوز فى مثل هذه الحالة عن القيام والقعود فى الصلاة

وا كتفى بحركة الرأس أو العين أو القلب فى أدائها رمزا للعبادة والتقديس .

وقد فرض الله الصلاة وجعل لها مقدمات من وضوء ، وطهارة بدن ، وثوب ، ومكان وقد تحدثنا فيما سبق عن الوضوء من الناحية الروحية والآن نتحدث عنه كطهارة بدنية خصها الله بالأعضاء التى هى أكثر تعرضا من غيرها للأوساخ والأتربة .

فعلى المسلم حين يريد الوضوء أن يغسل يديه قبل إدخالهما فى الإناء لإزالة ما عساه يكون قد علق بهما من الأوساخ إذهما أكثر أعضاء الجسم مباشرة لكل ممسوك أو ملموس أو محمول .

وغسل الفم مرات متعددة مع استعمال السواك من أهم أسباب الوقاية من مرض الأسنان واللثة .

وغسل طاقة الأنف بالماء البارد من أهم أسباب الوقاية من الزكام فوق أنه نظافة لطاقتى الأنف .

وغسل الوجه واليدين والرجلين وهى الأجزاء المعرضة عادة للأمراض الجلدية والالتهابات أحسن وقاية لها من ذلك .

وقد اتضح أخيراً أن أكثر الميكروبات وجراثيم الأمراض إنما تصيب الإنسان بطريق اختراقها الجلد وأن طفيلات الديدان تدخل الجسم بطريق اختراق الجلد أيضاً .

ولما كانت الصلوات خمسا كان على المسلم أن يقوم بغسل هذه الأعضاء المعرضة للأوساخ والأتربة خمس مرات فى كل يوم فيتم له بذلك القيام بعمل صحى ينادى به العلم الحديث ولا شك أن الغسل المتكرر فيه الوقاية الأولية الفعالة لأن الطبقة الخارجية للجلد تمنع الميكروبات من الوصول إلى داخل الجسم إلا إذا حصل فيها تسلخ وأهم أسباب التسلخ المرش الذى أسبابه عدم النظافة .

أما نظافة البدن والثوب والمكان فقد أمر بهـا الإسلام ورغب فيها للصلاة وغير الصلاة قال تعالى : « وثيابك فطهر » وفى الحديث الشريف « من نام وفى يده غَمَرٌ » — رائحة اللحم وزهومته — ولم يغسله فاصابه شىء فلا يلومن إلا نفسه » وفى حديث آخر « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده فى الماء حتى يغسلها فإنه لا يدرى أين باتت يده » وفى حديث آخر « إن الله نظيف فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف » وفى حديث آخر « أصلحوا رحالكم ولباسكم حتى تكونوا فى الناس كأنكم شامة » والشامة الخال على الخد وإصلاح الرحال التى هى الدور والمساكن إنما يكون بالتهوية وفتح النوافذ لتجديد الهواء ودخول الشمس فتقتل الجراثيم والميكروبات

وتجفف الرطوبات وقد يكون إصلاحها أيضاً بالمواد المطهرة وكنسها ورشها وإزالة القمامة منها .

وأما الجنابة فقد فرض الإسلام على الرجال والنساء الاستحمام من الجنابة كما حض النساء على وجوب الاستحمام من الحيض وندب الاستحمام للجُمع والأعياد وشدّد فى وجوب طهارة الماء الذى يستعمل فى الاستحمام والوضوء وجعل هذا النظام فى النظافة مقروناً بعمل عبادى لتطهر الروح على أساس لا يمكن أن يتصور أكمل منه للوصول إلى درجة الطهر الحسى والمعنوى .

ولم يكتف الإسلام بما شرعه من استحمام ووضوء بل سن سنة الاعتدال فى كل شىء ففى الحديث « إياكم والغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين » .

ورأى الرسول عليه السلام رجلا طاعنا فى السن يمشى وهو يتهادى بين ولديه فسأل عنه فقيل إنه نذر أن يحج ماشياً على قدميه فقال عليه السلام : « إن الله غنى عن تعذيب هذا نفسه احملوه » فحملوه على بعير .

وقال لعبد الله بن عمرو وقد بلغه أنه يقوم الليل ويصوم النهار « إن لبدنك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ، ولزورك

« زائرك » عليك حقا ، فنم ، وقم ، وصم ، وافطر » .

وفى الحديث « تنقّه وتوقّه » أى تنظف وتطهر واحذر ما يضرك فجعل الإسلام من صفات المؤمن التعقل والفطنة وكلها تدعو إلى حفظ الجسم ووقايته مما يضره وعلى هذا الأساس شرع الإسلام الرخص فى العبادات فشرع قصر الصلاة للمسافر وأباح للمريض الصلاة من جلوس واضطجاع وإيماء ، كما رخص للمسافر والمريض الفطر فى الصيام وقال فى ذلك الرسول عليه السلام « ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » وحرم الإسلام التغذية بالدم والميتة ولحم الخنزير والخمر كل هذا للمحافظة على جسم الإنسان ووقايته من الضعف حتى تكون عنده المناعة الكافية التى تقف أمام غزو الميكروبات وجراثيم الأمراض .

وأما الصلاة فهى رياضة بدنية تعود على الجسم بالقوة والنشاط ففى الركوع والاعتدال والسجود والقيام ما يقوى العضلات وسائر أجزاء الجسم وينظم الدورة الدموية ويساعد على بناء الأنسجة والتخلص من الفضلات التى يضر بقاؤها بالجسم وفى ذلك تربية للمناعة والحصانة ومقاومة غزو الميكروبات .

كما أن الصلاة تساعد على الهضم ففى حديث الطبرانى « أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم » وفى هذا الحديث أيضا إشارة إلى ضرر النوم بعد الأكل مباشرة وهو ما ذهب إليه الأطباء وأرشد إليه علماء النفس وأساتذة الرياضة الآن بعد طول البحث والدراسة .

هذا « ولو أديت الصلاة كما يجب وكما أمر الله تعالى تامة الركوع والسجود والقيام لتبين لنا أن فيها من التمرينات الرياضية « السويدية » ما يعجز أى مرب رياضى أن يجمع لك فى وقت واحد قصير وفى دقائق معدودة ما فيها من حركات متناسقة مرتبة تعم جميع الأعضاء .

فواجب المصلى أن يقف معتدلا لا يلتفت يمينا ولا يسارا وإذا ركع وجب أن يثنى الظهر بحيث يكون معتدلا كالخط الأفقى المستقيم ، كما يجب أن تكون الرأس أسفل من الظهر كما يجب عدم ثنى الركبتين ، ثم عليه أن يقف ثانية ليهوى بجسمه كله على الأرض ساجدا ويضع جميع أطرافه على الأرض كذلك بثقل ، ثم تتكرر هذه العملية وتلك الحركات بعدد الركعات وبعدد الصلوات فى اليوم والليل وفى النهاية عليه أن يؤدى تمرين العنق بالتسليم يمينا ، وأماما ، ويسارا » .

ولا يفوتنى أن أثبت هنا ما كتبه الكاتب الفرنسى «ناصر الدين رينيه» الذى أعلن إسلامه فى الجزائر سنة ١٩٢٧ فى كتابه أشعة خاصة بنور الإسلام تحت عنوان بساطة الإسلام فى الصلاة والنظافة وقد ترجمه من الفرنسية الأستاذ راشد رستم .

يقول : إن الحركات والإشارات فى الصلاة الإسلامية ذات بساطة ولطف لم يسبق لهما مثيل فى صلاة غيرها كما أنها لاتدعوا الوجوه إلى التظاهر والتكلف ولا العيون إلى الشخوص إلى السماء واستنزال الدموع كما أنها خالية من مبالغات الورع وتكلفات الخضوع لأن الله سبحانه هو العليم بذات الصدور .

وحركات الصلاة الإسلامية — فوق تعبيرها التام عما تحمل نفوس المسلمين من العاطفة النبيلة نحو المولى الكريم — تقوم للجسم بأعظم مزايا الحركات الرياضية فهى مفروضة الأداء خمس مرات فى اليوم الواحد ، وكم من شيخ كبير أو رجل بدين استطاع كلاهما السجود والركوع والوقوف دون كبير عناء مما لايستطيع غيرهم فى مثل هذا السن ما لم يكن تريض على ذلك من قبل .

أضف إلى ذلك حكمة الوضوء الذى يسبق كل صلاة ففيها إنعاش للبدن إلى جانب ما فيها من صحة ونظافة .

هذا وعادة الانتظام فى مواعيد الصلاة تربى فى النفس عادة انتظام المواعيد فى كل شىء فى تناول الطعام وفى الذهاب إلى المدرسة أو الديوان أو العمل وفى أوقات النوم واليقظة ، وفى أوقات الذهاب إلى السوق والمذاكرة واللعب ومقابلة الناس وهكذا . ويترتب على هذا أن يتعلم الإنسان تقسيم العمل على حسب الأوقات ، وبهذا يستطيع الإنسان أن يواجه متاعب الحياة ومشكلاتها . اهـ

شىء من الهدى النبوى الإسلامى فى الوقاية من الأمراض :

١ — قال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا اللاعنين قالوا : وما اللاعنان يا رسول الله قال : الذى يتخلى فى طريق الناس أو ظلهم » .

فقوله صلى الله عليه وسلم اتقوا اللاعنين يريد الأمرين الجالبين للعن وذلك أن من فعلهما لعن وشتم ومعنى التخلى « التبرز » أى قضاء الحاجة ، ولاشك أن قضاء الحاجة فى طريق الناس أو فى المواضع التى يلجاون إليها ليستظلوا بظلها أمر مستقبح مؤذ للناس وربما أصابه القذر فتنتشر بذلك الأمراض ويتعرض الناس للعدوى .

٢ — وقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الملاعن الثلاث البراز فى الموارد ، وقارعة الطريق ، والظل » والملاعن مواضع اللعن أى أن التبرز فى هذه المواضع يكون سببا فى لعن من يفعله .

والمراد بالظل هنا الظل الذى يتخذه الناس مقيلا ومنزلا ينزلونه .

روى سيدنا جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يبال فى الماء الراكد وفى رواية أخرى عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى أن يبال فى الماء الجارى .

وحكمة النهى عن التبول فى الماء سواء الراكد منه أو الجارى واضحة وهى الوقاية من الأمراض التى تنتقل بواسطة تلوث المياه مثل البلهارسيا والانكلستوما وغيرهما .

٤ — عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه وإذا رفع » .

قال الحافظ المنذرى المراد بالوضوء فى هذا الحديث غسل اليدين قبل الأكل وبعده لإزالة ما عسى أن يكون قد علق بهما قبل الأكل وحتى لا يدع شيئا من بقايا الأكل فى يديه بعد الأكل .

٥ — وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده فى المـاء حتى يغسلها فإنه لا يدرى أين باتت يده » .

والحكمة واضحة إذ قد يكون أصاب يده شىء حال نومه يلوث المـاء أو يترك فيه بعض الميكروبات .

٦ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : « من نام وفى يده غمر ولم يغسله فأصابه شىء فلا يلومن إلا نفسه » والغمر رائحة اللحم وزهومته وزنخه .

٧ — وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الشيطان حسّاس لحاس فاحذروه على أنفسكم من بات وفى يده ريح غمر فأصابه شىء فلا يلومن إلا نفسه » والمراد بالشيطان هنا ما يأتى متخفيا من الحشرات والهوام المؤذية بنفسها أو بنقلها للميكروبات كالثعبان والبرص والصرصار وغيرها لأنها تحس برائحة الطعام فتأتى إليه وتلحس مواضعه ومن هنا يتعرض من لم يغسل يديه وفمه بعد الأكل إلى ضررها وهو نائم سواء أكان ذلك الضرر صادرا منها مباشرة أو بواسطة ما تنقله من ميكروبات .

٨ — وقال صلى الله عليه وسلم : «من بات وفى يده ريح غمر فأصابه وضح فلا يلومن إلا نفسه » الوضح فى الحديث«البرص»

وقد ثبت أن من أسباب التعرض لمرض البرص — والعياذ بالله — القذارة ولا سيما عند النوم .

٩ — وقال صلى الله عليه وسلم : « غطوا الإناء وأوكئوا السقاء فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء لم يغط ولا سقاء لم يوك الا وقع فيه من ذلك الوباء » .

تغطية الإناء معروفة والوكاء رباط القربة ونحوها وهذا الحديث يؤيده الطب الحديث المبنى على أن للأوبئة ميكروبات لا ترى بالأبصار إذا وقعت في ماء أو طعام كانت سببا في إصابة كل من أكل أو شرب منه فإن لم يصبها وباء وقع فيها غيره من الهوام والحشرات التي تحمل الوباء .

١٠ — وقال صلى الله عليه وسلم « لا يورد ممرض على مصح » وفي رواية أخرى عن البخارى وأحمد أنه قال . « فر من المجذوم فرارك من الأسد ولا تديموا النظر للمجذومين وإذا كلمتموهم فليكن بينكم وبينهم قدر رمح » .

وروى مسلم أنه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم « إنا قد بايعناك فارجع » .

الإسلام والطب الرياضى

للرياضة البدنية أثر قوى فى الوقاية من الأمراض المختلفة لما تحدثه من المناعة فى الجسم لهذا رأينا أن نتحدث عن الرياضة البدنية فى الإسلام .

إذا علمنا أن الصلاة بما اشتملت عليه من ركوع وسجود وقيام وتسليم مشتملة على كثير من الحركات الرياضية وكذلك أفعال الحج بما اشتملت عليه من مناسك متعددة عرفنا مقدار عناية الإسلام بالرياضة البدنية .

وقد تنبه المسلمون لفوائد الرياضة البدنية باعتبارها من أهم العوامل التى تقوى عضلات الجسم وتنشط الدورة الدموية وبالتالى تحدث عند الإنسان مناعة ضد كثير من الأمراض .

كما نظر إليها المسلمون على أنها عامل من عوامل تدريب المسلمين على القتال فى سبيل الله وقد حث عليها وعلى تعلمها الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم كما كان هو عليه السلام القدوة الحسنة فى ذلك فقد ورد أنه كان يسابق زوجته السيدة عائشة رضى الله عنها جرياً على الأقدام تقول السيدة عائشة : « سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ثم سابقنى فسبقنى فقال هذه بتلك » .

ومعروف أن المشى والجرى من أهم أنواع الرياضة ، وقد قرر الطب أن المشى من أهم وسائل علاج مرض السكر والروماتيزم والإمساك المستعصى والجرى من أهم عوامل تنشيط الدورة الدموية .

كما شجع الإسلام على سباق الخيل والجمال فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسابق على ناقته « العضباء » وورد أنه كان لا يسابق بها أحداً إلا سبقه فجاء أعرابى فى يوم على بعير وقال : أتسابقنى يا محمد ؟ فسابقه النبى صلى الله عليه وسلم فسبقه الأعرابى فكبر ذلك على الصحابة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنه حقاً على الله ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه » .

كما رغب الإسلام فى السباحة والعوم والرمى وطلب إلى الآباء تعليمها لأبنائهم قال عليه السلام : « تعلموا السباحة وعلموها أبناءكم » وفى حديث آخر « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى » .

ولم ينس الإسلام المصارعة فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم صارع رجلا معروفا بالشدة فى الجاهلية فصرعه الرسول عليه السلام فقال الأعرابى عاودنى فى أخرى فصرعه النبى فى الثانية فقال الأعرابى عاودنى فصرعه صلى الله عليه وسلم فى الثالثة .

كما ورد المبارزة بالحراب — وهى تشبه الآن المبارزة بالشيش — فكان رسول الله صلى الله وسلم يسمح للأحباش بمزاولة اللعب بالحراب فى مسجده الشريف وهو ينظر إليهم ويشجعهم وكان الرسول عليه السلام يرمى من وراء ذلك إلى تدريب المسلمين وإعدادهم للجهاد وهذا هو بعينه ما يقوم به قادتنا اليوم من تدريب الشبان على وسائل الجهاد بالتمرينات العسكرية والتى أصبحت جزءا من المنهاج الدراسى فى دور التعليم هذا ولم يهمل الإسلام اللهو البرىء فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على أصحاب (الدركله) ـ وهى لعبة للعجم فيها نوع من الرقص البرىء ـ وهم يلعبون فقال لهم .

جدوا يابنى أرقده حتى يعلم اليهود والنصارى أن فى ديننا فسحة .

وفى هذا الحديث مسألتان يجب التنبيه عليهما .

الأولى ـ أن هذه اللعبة بالرغم من أنها دخيلة على الإسلام لم يمنعها الرسول عليه السلام .

الثانية ـ لم ينكر الرسول عليهم هذا النوع من الرقص بل وصفه بأن فيه فسحة وتسلية وجاء من بعد الرسول عليه السلام الخلفاء والأمراء والولاة فوجهوا اهتمامهم لكثير من أنواع الرياضة البدنية كعامل من عوامل تقوية الجسم .

فها هو ذا عمر بن الخطاب وهو خليفة المسلمين يقول في صدر رسالته إلى بعض الولاة : (أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية) .

وهو الذى رأى رجلا قويا يتخشع فى مشيته زاعما أن هذا من سيماء الصالحين فناداه قائلا : ياهذا ارفع رأسك فإن الإسلام ليس بمريض .

ويقول الحجاج الثقفى لمعلم ولده : (علم ولدى السباحة قبل الكتابة فإنه يجد من يكتب عنه ولا يجد من يسبح عنه) .

وقال أبو عقيل : رأيت أبا هاشم الصوفى مقبلا من جهة النهر فقلت له : فى أى عمل كنت اليوم ؟ فقال : فى تعليم ما ليس ينسى وليس لشىء من الحيوانات عنه غنى قلت : وما هو قال : السباحة أما اهتمام الإسلام بركوب الخيل وحث المسلمين على التدريب على هذا النوع من الرياضة فإنا نجد ذلك فى كتاب الله وفى كلام الرسول عليه السلام .

قال تعالى . (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) وقال تعالى يقسم بالخيل . والعاديات ضبحاً فالموريات قدحا فالمغيرات صبحاً فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً) ويقول الرسول عليه السلام فى مدح الخيل .

(الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامه) ويقول : (الخيل ظهورها عز وبطونها كنز) .

وقد صح أن الرسول عليه السلام سابق بين الخيل وأعطى السابق جائزة والإسلام يرمى من وراء ذلك كله إلى غرضين .

الأول ـ تقوية الجسم والروح .

الثانى ـ أن يكون أبناء الإسلام رجال حرب وجهاد وجلاد وأصحاب قوة ومنعة وأن يكونوا على أهبة الاستعداد لدفع العدو المهاجم أو إخراج العدو المستعمر الغاصب .

وقد أدرك هذا المعنى السامى رجال ثورتنا المباركة فعملوا على تعميم تعليمها فى المدارس المختلفة والجامعات والهيئات والجمعيات فانتشرت التدريبات العسكرية والتمرينات الرياضية المختلفة حتى ينشا بذلك جيل جديد مكافح مجاهد ينعم بقوة الجسم والروح ويأخذ طريقه إلى المجد وسبيله إلى الخير .

الإسلام والحجر الصحى :

الحجر الصحى هو المنع من دخول أرض الوباء أو الخروج منها منعاً لانتشار العدوى من الأمراض المعدية السريعة الانتقال مثل الطاعون والكولرا والتيفوس .

وهو أعظم نظام فى الطب الوقائى وأقوى وسيلة يلجأ إليها الطبيب للوقاية من الأمراض الوبائية وذلك لحصر المرض فى أضيق حدوده وحجزه فى مولده الأول حتى لا ينتشر وتكثر الإصابة به .

والحجر الصحى بهذا المعنى ليس من مبتكرات الطب الحديث فقد سبق إليه الإسلام وقرره قولا وعملا ففى القرآن الكريم (ولا تلقوا بايديكم إلى التهلكة) وأى تهلكة بعد تعرض الإنسان للأمراض المعدية . وفى الحديث (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها) وفى حديث آخر (فر من المجذوم فرارك من الأسد) وفى حديث آخر « لا يدخل مصح على مجرب » وروى « كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين » وروى مسلم أنه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبى صلى الله عليه وسلم قائلا له . « إنا قد بايعناك فارجع » وفى حديث آخر «لاعدوى ولا طيرة ولا هامةولا صفر وفر من المجذوم فرارك من الأسد» ومعنى لا عدوى أى مؤثرة بنفسها بدليل فر من المجذوم .

وروى أن عمر بن الخطاب خرج من المدينة قاصدا الشام ليتفقد أحوال الرعية فلما وصل إلى سرح فى طريق الشام مما يلى

الحجاز لقيه أبو عبيدة بن الجراح وأخبره بأن الوباء بالشام فقال عمر لابن عباس : ادع إلى المهاجرين فدعاهم فاستشارهم عمر فاختلفوا وقال بعضهم خرجت لأمر فلا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم . معك بقية من الناس وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدم بهم على هذا الوباء فقال عمر . ارتفعوا عنى ثم قال لا بن عباس . ادع لى الأنصار فلما حضروا استشارهم فاختلفوا وقالوا مثل ما قال المهاجرون فقال. ارتفعوا عنى ، ثم قال لابن عباس . ادع لى من كان هنا من مشايخ قريش فلما حضروا لم يختلف عليه رجلان وقالوا . نرى أن ترجع ولا تقدم على هذا الوباء فنادى عمر إنى مصبح على ظهر - أى مسافر فى الصباح على ظهر راحلتى ، فقال أبو عبيدة أترجع فرارا من قضاء الله وقدره يا أمير المؤمنين فقال له عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، فجاء عبدالرحمن بن عوف - وكان متغيباً فى حاجة - فلما علم بما حصل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها » . . الحديث فحمد الله عمر رضى الله عنه .

الحجر الصحي والتوكل :

يخطىء بعض الناس فيظنون أن الحذر والأخذ بالحيطة في مثل هذا المقام مناف للتوكل على الله ويروون في مقابل ما ذكرناه من الأحاديث مثل « لا يغني حذر عن قدر » ومثل « لا عدوى ولا طيرة » ومثل « ما كان لك سوف يأتيك » .

والحقيقة أن التوكل على الله لا ينافي أخذ الحذر من كل ما يضر قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم » وأمر بحفظ النفس فقال : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

وهو الذي أباح التيمم بدل الوضوء إذا لم يمكن استعمال الماء لمرض . وهو الذي أباح الفطر لمن كان مريضا بل أوجبه عليه إذا كان الصوم يؤخر شفاءه أو يجلب له مرضاً .

وهو الذي أباح لمن كان برأسه أذى أن يحلق رأسه عند التحلل من الأحرام في الحج أو العمرة وجعل عليه بدل ذلك فدية من صيام أو صدقة أو نسك .

ومعنى هذا أن الحذر من أمر الله وأن القدر من أمر الله .

وفي حديث عمر السابق « نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله » ما يؤيد ذلك .

وقد ضرب عمر للسائل مثلا . بما إذا كان له إبل بعضها

جربى وبعضها صحيحة أفكان يخلط بينهما أم كان ينزل هذه فى مرعى وتلك فى مرعى ويكون نزول كل منهما فى مرعاه سببا فى أن تسلم الصحيحة فلا تصاب ، وعدم إصابتها حينئذ هو من قدر الله كما أنهما لو نزلتا معا فاصيبتا لـكان ذلك من قدر الله أيضا .

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث (لا عدوى) أى مؤثرة بنفسها أى أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يؤثر بسببها لا هى ، فقد ثبت أن بعض الأجسام مستعد لقبول العدوى ، وبعضها غير مستعد لذلك ـ كما ثبت أن مجرد وجود الميكروب لا يتحتم معه حدوث العدوى فقد تكون هناك حصانة طبيعية أو عوامل للتحصين كالتطعيم وغيره وتلك الموانع والعوامل هى أيضاً من أمر الله .

فعلى المؤمن الصادق الإيمان أن يجمع بين التوكل على الله والأخذ فى الأسباب نزولا على مبدأ « إعقلها وتوكل » .

وقد ورد فى السنة النبوية تطبيق كثير على هذا المبدأ فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اغلق بابك واذكر اسم الله ، واطفئ مصباحك واذكر اسم الله. وأوك سقاءك واذكر اسم الله وخمر إناءك واذكر اسم الله » .

الطب العلاجي

تطور فن العلاج

عرف الإنسان العلاج منذ أن عرف الألم والألم يولد مع الإنسان وهو مشكلة من مشكلات الطبيعة والعلاج أيا كان هو حلها ، وقد قال بعض الفلاسفة : « إن الطبيعة لا تخلق مشكلة الا وهى قادرة على حلها » .

وقد كان الإنسان البدائى يعزو ما يصيبه من أمراض إلى غضب الآلهة أو إلى الأرواح الشريرة التى تمس الجسم أو إلى النجوم والأفلاك وغير ذلك من العوامل .

وكان لعجزه وقلة حيلته وتخبطه يعلل كل ما يراه ولا يدرك كنهه بما يصوره له خياله البدائى القاصر ، ولكنه عن طريق المحاولة بدأ يعرف فوائد بعض النباتات والوصفات البدائية ، وبوساطة المصادفات ، وبفضل قوة الملاحظة — تلك النعمة الكبرى التى اختص بها الإنسان — أخذ يلاحظ المزايا غير

(١) نقلا عن دائرة معارف الشعب ج ٨٢ ص ١٧٣ .

العادية التى تتمتع بها الحيوانات والنباتات التى ترافقه فى درب الحياة الطويل ، واعتقد فى حماسته البدائية أن هذه الكائنات الحية التى تبزه فى قوة الاحتمال والقدرة على خوض الأعاصير كفيلة بأن تمده بأسباب البقاء وأسباب الشقاء من آلامه وأمراضه.

فمثلا كان الإنسان يعرف أن الأسد شجاع فظن أن أكل قلب الأسد سيبعث الشجاعة فى قلبه ، والثعلب لديه قدرة عجيبة على العدو مسافات طويلة فاعتقد أنه إذا أكل رئتى الثعلب سيطول نفسه وإذا كان الدب قويا فمن الممكن أن يمنحه القوة وهكذا .

وتلك المعتقدات كانت تقوم على الجهل المطبق الذى أسلم الإنسان إلى تيه من الوساوس والخزعبلات وسرعان ما احتكر هذه الوساوس طبيب القبيلة . وكان طبيب القبيلة هو ساحرها ومشعوزها ومن أخطر الشخصيات شأنا .

وما أكثر ما زعم هذا الطبيب الساحر أن للانهار والأشجار والصخور والسحب وغير ذلك من الأشياء قدرات عجيبة على الشفاء .

ومع ذلك كان الإنسان من حين إلى حين يعثر على طرف من أطراف الحقيقة وكان ذلك يكلفه آلافا من السنين .

حتى بدأ يتثبت من أن للنباتات والمعادن مزايا حقيقية لشفاء الأمراض .

الاسلام والطب العلاجي للأجسام :

لما كان الإسلام يستهدف أولا وبالذات إلى إصلاح نفوس البشر وعقائدهم وأخلاقهم وإخلاص عبادتهم لله وحده لم يتوسع في تمرضه للأمراض ولا للدواء واكتفى بالتوجيهات العامة وترك للإنسان حرية البحث والتنقيب ليطلع في طريق بحثه على أسرار خلق الله ويهتك المستور من كنوز الطبيعة .

يقول ابن القيم في كتابه زاد المعاد : كان علاجه صلى الله عليه وسلم للمرض ثلاثة أنواع أحدها بالأدوية الطبيعية ، والثاني بالأدوية الالهية ، والثالث بالمركب من الأمرين وهذا إنما يشير إليه الرسول صلى الله عليه وسلم إشارة ، فإنه إنما بعث هاديا وداعيا إلى الله وإلى جنته ومعرفا بالله ومبينا للأمة مواقع رضاه ومواقع سخطه، وأمر المبدأ والمعاد وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها .

وأما طب الأبدان فجاء من تكميل شريعته ومقصودا لغيره فإذا قدر الاستغناء عنه كان صرف الهمم والقوى إلى علاج القلوب والأرواح ودفع أسقامها وحمايتها مما يفسدها هو المقصود

الأول ، واصلاح البدن بدون اصلاح القلب لا ينفع ، وفساد البدن مع اصلاح القلب مضرته يسيرة جداً وهى مضرة زائلة تعقبها المنفعة الدائمة .

فمن التوجيهات العامة التى جاء بها القرآن الكريم : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

وقوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما زكيتم » .

ومن التوجيهات النبوية قوله صلى الله عليه وسلم : « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء » وقوله : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » وقوله : « يا عباد الله تداووا فإن الله لم يدع داء إلا وضع له شفاء » وفى رواية أخرى « إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام (الموت) » .

وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن ربهم يطعمهم ويسقيهم » .

وقد روى أن طبيبا نصرانيا سأل الحسين بن على الواقدى عن علم الأبدان فقال له : العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان

أما علم الأبدان فقد جمع كتابنا الطب كله فى نصب آية « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » فقال له وهل ذكر نبيكم شيئا عن الطب فقال له نعم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأعط كل بدن ما عودته » فقال له : والله ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس شيئا .

الوصفات العلاجية :

ومع هذه التوجيهات النبوية العامة التى ذكرناها فقد وردت بعض العلاجات الخاصة ببعض الأمراض على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإليكم بعضها .

الحجامة والفصد والكى :

قال صلى الله عليه وسلم : « الشفاء فى ثلاثة شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار » .

وقال : « احتجم واعط الحجام أجره » والحجامة هى شرط الجلد وإخراج الدم بالمحجم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم احتجم على الأخدعين « عرقان فى جانب العنق » وبين الكتفين وأعطى الحجام أجره ولو كان حراما لم يعطه .

وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وحجمه أبو طيبة فأمر له بصاعين من طعام وكلم أهله فوضعوا عنه شيئاً من خراجه وقال : إن أفضل ما تداويتم به الحجامة .

قال شراح الحديث إن الحجامة على الأخدعين تمنع من أمراض الرأس والوجه والأذنين والعينين والأسنان والأنف ، والحجامة على الكاهل تنفع فى وجع السن والوجه والحلقوم وتنقى الرأس . والحجامة على الساقين تنفع فى بثور الفخذ والنقرس والبواسير وداء الفيل وحكة الظهر ، والحجامة على ظهر القدم تنفع فى قروح الفخذين والساقين والحكة العارضة

ويقول شراح الحديث أيضاً أن الخطاب فى حديث الحجامة لأهل الحجاز ومن فى حكمهم من أهل البلاد الحارة وهم الذين تنفع فيهم الحجامة كعلاج لبعض الأمراض التى ذكرناها أما أهل البلاد الباردة فالحجامة لا تفيد فى مثل هذه الأمراض ، وإن الأمر يختلف باختلاف الزمان والمكان والمزاج . ولهذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحجامة إذا بلغ الرجل الخمسين من عمره حيث قال : « إذا بلغ الرجل من أمتى الخمسين سنة فليتكل الحجامة » .

لا يقال : إن الفصد والحجامة ليس لهما مبررات فى دستور الطب الحديث فقد يكون الطب الحديث قد استغنى عنهما لوجود عوض يقوم مقامهما كتوسيع الشرايين ببعض الأدوية وامتصاص الدم الزائد فى حالات الضغط العالى بطريق « العلق » الذى يمتص الدم الزائد أو سحبه بالإبرة أو باكتشاف أدوية أخرى تسكن الدم وتنظم سيره .

واهتداء العلماء اليوم فى الطب الحديث إلى هذه الوسائل لا يعني أن الوسائل الأولى موضع الطعن والزراية ، فقد أدت هذه الوسائل مهمتها يوم كان العلم قاصراً عليها . فإذا ما وجدت وسيلة أخرى أكفل للصحة وأنجح فى العلاج فلا ضير من ترك الأولى والعمل بالثانية دون نكير من الدين .

على أن الطب الحديث لم يمنع من ذلك فقد جاء فى دائرة المعارف فى الكلام عن الدم ما نصه « ويمكن وقف تزايد الكريات الحمراء بفصد كميات من الدم من أوردة المريض » .

ثم يقول فى علاج بعض الأمراض :

والعلاج فى هذه الحالة بفصد دم المريض فصداً دورياً حسب الأصول الطبية .

علاج الحمى :

فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إنما الحمى أو شدة الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء .

وفى سنن ابن ماجة عن أبى هريرة مرفوعا : الحمى من كير جهنم فنحوها عنكم بالماء البارد وفى المسند عن سمرة مرفوعا : الحمى قطعة من النار فأبردوها عنكم بالماء البارد . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حم دعا بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل .

ولعل بعض الأطباء المحدثين لا يستريح لمثل هذا العلاج ويراه منافيا لدواء الحمى وعلاجها ونقول لمثل هؤلاء : إن خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وإرشاداته نوعان عام لأهل الأرض جميعا وهو أكثر إرشاداته ، وخاص ببعضهم كهذا الحديث فهو خاص بأهل الحجاز ومن والاهم إذ كان أكثر الحميات التى تصيبهم من نوع الحمى اليومية العرضية التى تحدث من ضربة الشمس وهذه ينفعها الماء البارد شربا واغتسالا .

يقول جالينوس فى كتابه حيلة البرء فى المقالة العاشرة :

ولوأن رجلا شابا حسن اللحم خصب البدن فى وقت القيظ وفى وقت منتهى الحمى وليس فى أحشائه ورم استحم بماء بارد أو سبح فيه لانتفع بذلك ، ثم يقول : ونحن نأمر بذلك بلا توقف .

ويقول الإمام الرازى فى كتابه الطب الكبير : إذا كانت القوة قوية والحمى حادة جداً والنضج بين ولا ورم فى الجوف ولا فتق ينفع الماء البارد شربا . وإن كان العليل خصب البدن والزمان حار وكان معتاداً لاستعمال الماء البارد من خارج فليؤذن فيه هذا .

وعن أبى هريرة قال : ذكرت الحمى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبها رجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسبها فإنها تنفى الذنوب كما تنفى النار خبث الحديد .

ويقول أبو هريرة : ما من مرض يصيبنى أحب إلى من الحمى لأنها تدخل فى كل عضو منى وإن الله سبحانه يعطى كل عضو حظه من الأجر .

وفى هذا المعنى يقول الشاعر الصوفى :

زارت مكفرة الذنوب لصبها   أهلا بها من زائر ومودع
قالت وقد عزمت على ترحالها :   ماذا تريد؟ فقلت: أن لا تقلعى

الطاعون وعلاجه والاحتراز منه :

عن عائشة رضى الله أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : الطعن قد عرفناه فما الطاعون ؟ قال . غدة كغدة البعير يخرج فى المراق والإبط .

وقال صاحب الصحاح الطاعون نوع من الوباء فبينهما عموم وخصوص فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا .

وعند أهل الطب ورم ردىء قتال يخرج معه تلهب شديد مؤلم جداً يتجاوز المقدار فى ذلك ويؤول أمره إلى التقرح سريعاً .

والطاعون يعبر به عن ثلاثة أمور .

١ — الأثر الظاهر وهو الذى ذكره الأطباء .

٢ — الموت الحادث منه وهو المراد بالحديث الصحيح فى قوله عليه السلام : الطاعون شهادة لكل مسلم .

٣ — السبب الفاعل لهذا الداء وقد ورد فى الحديث الصحيح أنه رجز أرسل على بنى إسرائل وفى حديث آخر أنه دعوة نبى .

وهذا لا يتعارض مع ماثبت من أن انتقال هذا المرض سببه المباشر العدوى بانتقال ميكروب هذا المرض من المريض إلى السليم .

علاجه :

لم يرد عن الرسول عليه السلام حديث صريح ولا عمل علاجي فى شان الطاعون ولعل السبب هو عدم ظهور الطاعون فى أرض الحجاز فى زمنه ، فقد ذكر المؤرخون أن مكة والمدينة لم يدخلهما طاعون ، كما لم يرد عن الصحابة شىء فيما يختص بعلاج هذا المرض الفتاك :

نعم ذكر أطباء الإسلام شيئاً من العلاج فقالوا يجب على المطعون السكون والدعة وأن يقلل من الغذاء وأن يخرج من بدنه الرطوبة الفضلية .

الحجر الصحى :

عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان الطاعون بارض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه . وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه .

ولايخرج معنى هذا الحديث عما هو معروف الآن « بالحجر الصحى» لحصر المرض فى مكانه حتى لا تنتقل العدوى إلى السليم

وقد حصر علماء المسلمين الحكم التى تضمنها هذا الحجر فقالوا :

١ — تجنب الأسباب المؤذية والبعد عنها.
٢ — الأخذ بالعافية التى هى أساس المعاش والمعاد .
٣ — أن لايستنشقوا الهواء الذى قد عفن وفسد فيمرضون
٤ — عدم مجاورة المرضى الذين قد مرضوا بذلك فيمرضون مثلهم ويصيبهم ما أصابهم .
٥ — حمية النفوس من الطيرة والعدوى .
٦ — فى النهى عن الخروج الأمر بالتسليم والتفويض فضلا عن عدم نشر المرض وحصره فى أضيق مكان .

الجروح وعلاجها :

ورد فى الصحيحين عن أبى حازم أنه سمع سهل بن سعد يسال عما دووى به جرح رسول الله صلى الله عليه يوم أحد ، فقال : جرح وجهه وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسل الدم وكان على بن أبى طالب يسكب عليها بالمجن فلما رأت فاطمة أن الدم لايزيد إلا كثرة أخذت قطعة حصير فاحرقتها حتى إذا صارت رماداً ألصقته بالجرح فاستمسك الدم برماد الحصير المصنوع من البردى .

وقالوا إن لرماد البردى فعل قوى فى حبس الدم لأن فيه

تجفيفا قوياً وقلة لذع وقال صاحب القانون : البردى ينفع من الدّن ويمنعه ويذر على الجراحات الطرية فيدملها .

عرق النسا :

عرفه ابن القيم بأنه عرق ممتد من مفصل الورك وينتهى إلى آخر القدم وراء الكعب فيما بين عظم الساق والوتر . وإذا أصابه مرض أحدث ألما يبتدىء من مفصل الورك وينزل من خلف على الفخذ وربما امتد إلى الكعب وكلما طالت مدته زاد نزوله ويهز معه الرجل والفخذ وسمى هذا العرق « بالنسا » لأن ألمه ينسى ما سواه .

علاجه :

روى ابن ماجه فى سننه من حديث محمد بن سيرين عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . دواء عرق النساء ألية شاة أعرابية تذاب ثم تجزء ثلاثة أجزاء ثم تشرب على الريق فى كل يوم جزء .

ولا يخفى أن الحديث خطاب للعرب وأهل الحجاز ومن جاورهم من أهل البداوى وكان هذا العلاج من أنفع العلاجات عندهم لهذا المرض .

الصداع وعلاجه :

الصداع ألم فى بعض أجزاء الرأس أو كله وله أسباب متعدده أوصلها ابن القيم إلى عشرين سبباً .

علاجه :

روى ابن ماجه فى سننه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا صدع غلف رأسه بالحناء ويقول . إنه نافع بإذن الله من الصداع .

يقول الأطباء : ان هذا العلاج نافع لبعض حالات الصداع فلعل ما كان عند الرسول عليه السلام كان من هذا النوع الذى يفيد فيه علاج الحناء .

ذات الجنب وعلاجها :

ذات الجنب عند الأطباء نوعان .

١ — ورم يعرض فى نواحى الجنب فى الغشاء المستبطن للأضلاع .

٢ — ألم يعرض فى نواحى الجنب سببه رياح غليظة مؤذية تحتقن بين الصفاقات فتحدث ألماً .

علاجه :

روى الترمذى فى جامعه عن زيد بن أرقم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال . تداووا من ذات الجنب بالقسط البحرى والزيت.

الامساك وعلاجه :

روى الترمذى وابن ماجة عن أسماء بنت عميس قالت . قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا كنت تستمشين قالت. قلت بالشبرم[1] قال . حار ثم قال . استمشين بالسنا[2] لو كان شىء يشفى من الموت لكان السنا .

وفى حديث آخر . عليكم بالتلبينة[3] فإنها تجم الفؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن .

العذرة وعلاجها :

عرفها ابن القيم بأنها قرحة تخرج فيما بين الأذن والحلق

---

(١) الشبرم . شجر له قضبان حمر وفى رؤوس قضبانه ورق له نور أصفر يميل إلى البياض .

(٢) السنا . نبت حجازى وأفضله المكى وهودواء مأمون الغائلة.

(٣) التلبينة : مزيج من اللبن والعسل والنخالة . وقيل : هى الشعير المطحون يغلى ويشرب ماؤه .

وتعرض للصبيان غالباً . وقيل تهيج فى الحلق من الدم .

علاجها :

فى مسند أبى داود عن جابر بن عبد الله قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة . وعندها صبي تسيل منخراه دما فقال : ما هذا ؟ فقالوا : به العذرة أو وجع فى رأسه فقال : ويلكن لا تقتلن أولادكن أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع فى رأسه فلتأخذ قسطاً هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه إياه فامرت عائشة رضى الله عنها فصنع ذلك بالصبي فبرأ .

علاج البثرة :

البثرة خراج صغير « دمل » يتكون من مادة تسترق مكاناً من الجسد لتخرج منه روى عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قالت . دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج فى أصبعى بثرة ، فقال : عندك ذريرة [1] قلت : نعم قال : ضعيها عليها وقولى : اللهم مصغر الكبير ومكبر الصغير صغر ما بى :

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : طيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بثرة بيده بذريرة فى حجة الوداع .

---

(١) الذريرة . دواء يتخذ من قصب الذريرة .

علاج الباسور :

كان من علاجه صلى الله عليه وسلم للباسور إنه كان ينصح باستعمال زيت الزيتون أكلا وأدهانا ففى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال صلى الله علية وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة وأنه ينفع من الباسور .

علاج لدغ العقرب :

وردانه صلى الله عليه وسلم كان يعالج لدغ العقرب بالماء والملح. ففى حديث البيهقى عن على قال . بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى توضع يده على الأرض لدغته عقرب فتناولها صل الله عليه وسلم بنعله فقتلها فلما انصرف قال لعن الله العقرب ما تدع مصليا ولا غيره ولا نبيا ولا غيره ثم دعا بماء وملح فجعله فى إناء ثم جعل يصبه على أصبعه حيث لدغته ويمسحها ويعوذها بالمعوذتين .

علاج بعض أمراض العيون :

ورد فى بعض الأحاديث النبوية وصف لعلاج بعض أمراض العيون كالرمد وظلمة البصر ففى الصحيحين أن النبى صلى الله

عليه وسلم قال . الكماة[1] من المن وماؤها شفاء للعين وقال صلى الله عليه وسلم . خير كحلكم الأثمد[2] يجلو البصر وينبت الشعر يقول بن القيم الأثمد ينفع العين ويقويها ويشد أعصابها ويحفظ صحتها ويذهب اللحم الزائد فى القروح ويدملها وينقى أوساخها ويجلوها ويذهب الصداع وهو أجود أكحال العين وروى أن ابن مسعود قال لا مرأته وقد اشتكت من عينها . لو فعلت كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خيرا لك وأجدر أن تشفى تنضحين فى عينك الماء ثم تقولين أذهب الباس رب الناس أشف أنت الشافى لاشفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما يقول شراح الحديث إن ذلك العلاج خاص ببعض البلاد وبعض أمراض العين فلا يجعل كلام النبوة الجزئى الخاص كليا عاما .

---

(١) الكمأة . يقول ابن القيم هى نبات لاساق له يكثر بأرض العرب وهى من أطعمة أهل البوادى .

(٢) الأثمد هو حجر الكحل الأسود يؤتى به من أصبهان ومن جهة الغرب وأجوده السريع التفتيت الأملس الذى ليس فيه شيء من الأوساخ .

أوصاف علاجية عامة :

قال صلى الله عليه وسلم : إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء الاالسام .

وقال صلى الله عليه وسلم : عليكم بهذا العود المندى فإن فيه سبعة أشفيه .

وقال صلى الله عليه وسلم : عليكم بالبان البقر فإنها ترم من كل الشجر [1] .

وقال صلى الله عليه وسلم · كلوا الثوم نيئا فلولا أن الملك يأتيني لأكلته .

وقال صلى الله عليه وسلم : أن التلبينة تجم الفؤاد للمريض وتذهب ببعض الحزن [2] .

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الرطب بالقثاء و بالبطيخ ويقول : يدفع حر هذا برد هذا وبرد هذا حر هذا . وفى هذا دفع لضرر بعض الأغذية بما يصلحها ويقويها ويدفع ضررها .

---

(١) ترم ــ أى تأكل من كل الشجر . وفى هذا إشارة إلى تركيب الأدوية من العناصر المختلفة.

(٢) التلبينة ــ الشعير المطحون يغلى ويشرب ماؤه .

الجراحة :

وردانه صلى الله عليه وسلم استعمل فى تداويه « المشقص » وهو آله من آلات الجراحة تستعمل لربط الشريان عند النزيف وقد استعمله الرسول عليه الصلاة والسلام فى علاج سعد بن معاذ.

التلبينة « حساء الشعير »

كان عليه الصلاة والسلام يصف للكثير من المرضى حساء من الشعير يقال له : « التلبينة » فعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن . وفى رواية أخرى عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى أحد من أهله لم تزل البرمه على النار حتى ينتهى أحد طرفية البرء أو الموت .

وفى راوية عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قيل له أن فلانا وجع ولا يطعم الطعام قال : عليكم بالتلبينة والذى نفسى بيده إنها تغسل بطن أحدكم كما تغسل أحداكن وجهها من الوسخ . ونحن نعرف أن الكثيرين من الأطباء يصفون لبعض المرضى شرب ماء الشعير . والفرق بينه وبين حساء الشعير المعروف بالتلبينة أنها تطبخ من الشعير مطحونا

وهو أنفع منه غير مطحون : وإذا شرب حارا كان نفوذه أقوى وأسرع .

منع التداوى بالمحرم :

روى أبو داود من حديث أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بالمحرم .

وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم .

وعن أبى هريرة قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء الخبيث .

وفى صحيح مسلم أن طارق بن سويد الجعفى سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أوكره أن يصنعها فقال : أنما أصنعها للدواء فقال : أنه ليس بدواء ولكنه داء .

وروى أبو داود والترقدى إنه صلى الله عليه وسلم سئل عن يجعل فى الدواء فقال : أنها داء .

وفى صحيح مسلم عن طارق بن سويد الحضرمى قال : قلت : يارسول الله أن بارضنا أعنابا نعتصرها فنشرب منها قال :

لافراجعته فقلت إنما نستشفى للمريض قال : إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء .

وفى النسائى أن طبيبا ذكر ضفدعا فى دواء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه عن قتلها .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من تداوى بالخمر فلا شفاه الله .

ولعل سائلا يسأل إذا تعينت الخمر دواء فلا معنى للمنع .

والجواب أن الله حرم ما حرم لخبثه فلو تصادف وزال المرض الظاهرى فإنه سيعقبه سقم ومرض أشد واعظم من المرض الأول فكان المتداوى به قد سعى فى إزالة مرض وجلب مرض أو أمراض أخرى . وأيضاً فإن الخمر داء فكيف يتعين كونه دواء ؟ .

الاستعانة بالطبيب الحاذق :

من هو الطبيب الحاذق : يقول ابن القيم هو الذى يتوفر فيه معرفة ما يأتى .

النظر فى نوع المرض ، سببه ، قوة المريض ، سنه ، عادته ، بلد المريض وتربته ، النظر فى الدواء المضاد للعلة الموازنة بين قوة

الدواء والمريض ، أن لا يترتب على إزالة المرض حدوث غيره ، أن يكون قادرا على علاج الداء ، أن يعالج بالدواء الأسهل فالأسهل، التلطف بالمريض ، أن يعمل على حفظ الصحة الموجودة ورد الصحة المفقودة .

هذا الطبيب الحاذق الذى تتوفر فيه هذه الأوصاف هو الذى يامر الرسول عليه السلام بالاستعانة به . فقد روى الامام مالك فى موطئه عن زيد ابن أسلم أن رجلا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرح فاحتقن الدم وان الرجل دعا طبيبين من بنى أنمار فنظرا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لهما أيكما أطب ؟ فقال : أو فى الطب خير يا رسول الله فقال : انزل الدواء الذى أنزل الداء .

ففى هذا الحديث الارشاد إلى الاستعانة بالأعلم فالأعلم لأنه أقرب إصابة ممن هو دونه .

الطبيب الضامن :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تطبب ولم يعلم من الطب قبل ذلك فهو ضامن » .

ففى هذا الحديث إرشاد إلى أن من يزاول الطب يجب

أن يكون عليا به وبأصوله ، أما أدعياء الطب الذين يعرضون الناس للضرر فعليهم تقع مسئولية عملهم فهم ضامنون .

قال الامام الخطابى : لا أعلم خلافا فى أن المعالج إذا تعدى فتلف المريض كان ضامنا .

روى أن وفد نجران الذى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه الشمردل فقال لرسول الله : يارسول الله بأبى أنت وأمى إنى كنت الكاهن والطبيب لقومى فى الجاهلية فما يحل لى . قال عليه الصلاة والسلام فصد العرق ومجسة الطعنة أن اضطررت وعليك بالسنا ولاتداو أحدا حتى تعرف داره قال الشمردل : والذى بعثك بالحق لأنت أعلم بالطب منى .

الطب القرآنى :

القرآن الكريم هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو من أى ناحية أتيته تجد فيه اعجازا يبهرك.

« يقرؤه البليغ فيجد فيه الاعجاز البلاغى ويقرؤة العالم الاجتماعى فيجد فيه ذخيرة علم الاجتماع ويقرؤه الرجل الدينى فيجد فيه أصول التشريع الصحيح ويقرؤه الفيلسوف فيقف أمام قوة بيانه صاغرا ذليلا ، ويقرؤه الأديب فيجد فيه ما يروى

ظماء، ويقرؤه الطبيب فيخر ساجدا أمام اعجازه وهكذا كان القرآن ولا يزال المعجزة الخالدة «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا».

وإن كل من كتب فى تفسير القرآن إنما كتب شيئا من معانى القرآن، ولم يستطع مفسر ان يدعى أنه استوعب معانى القرآن بل كان كل واحد منهم يختم نهاية اجتهاده بكلمة «والله أعلم بمراده»

ولما كانت الأمة العربية فى أعلى درجات الفصاحة فقد آمنت به وبما أمكنها فهمه من آياته ومالم يمكنها فهمه ردته إلى المجاز أو آمنت به إجمالا ولو لم تفهم تفاصيله لوثوقها أن كل ما جاء فى القرآن الكريم هو من عند الله تعالى.

أما من خلفوا الأمة العربية بعد ذلك فقد قلت نصاحتهم فى الوقت الذى زاد فيه إدراكهم لكثير من أسرار الكون فأصبحوا يصدقون علمهم ولا يصدقون مالا ينطبق عليه.

وقد كشف العلم الحديث عن معنى بعض الآيات القرآنية وسينكشف الباقى منها كلما تقدمت العلوم وسيأتى قريبا الوقت الذى يكون فيه العلماء الماديون أقرب الناس إلى الدين وإلى الايمان بالله»

وقد ورد في القرآن الكريم آيات اشتملت على كثير من الحقائق الطبية التي خفيت على المسلمين الأولين وكشفها الطب الحديث فمرحبا بالطب وبكل علم من العلوم الكونية يشترك معنا في كشف ما عمى علينا من آيات الله التي يزخر بها القرآن الكريم والتي يشير إليها في هذه العبارة الموجزة « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

وستذكر بعض الآيات القرآنية الطبية التي اهتدينا إليها والتي تعرض لها بعض الأطباء والكتاب والمفسرين ثم نحاول أن نتعرض لها بالايضاح والتفصيل فنقول وبالله التوفيق .

عسل النحل :

١ — قال تعالى : « وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبيل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » سورة النحل ٦٧ — ٦٩ ما أصدق هذه الآية الكريمة التي اشتملت على كثير من النواحي الطبية التي اكتشفها الطب الحديث والتي تعتبر من معجزات القرآن الكريم.

فعسل النحل أقدم طعام حلو عرفه الانسان ، ثم هو مورد

خصب للمواد الغذائية النافعة للجسم كما أنه يحتوى على حمض يعالج الكثير من أمراض الجهاز الهضمى كما ان له قدرة بالغة على قتل كثير من الميكروبات التى تسبب بعض الأمراض .

هذا هو السر الذى جعل عسل النحل يتصف بهذا الوصف الكريم « فيه شفاء للناس » .

« أثبت العلم الحديث أن عسل النحل يحتوى على نسبة كبيرة من السكر وهو الوقود الذى يحتاجه الجسم لمسابقة نشاطه الحيوى وتبلغ نسبة السكر فيه نحو ٧٥ ٪ .

كما يحتوى على نسبة كبيرة من فيتامين (ب) ومركباته ومن المعروف عن هذا الفيتامين أنه يساعد على النمو ويستطيع الانسان بواسطته أن يقاوم الأنيميا والأمراض الجلدية والعصبية والبلاجرا كما يساعد على هضم المواد النشوية .

كما يحتوى على قدر من فيتامين (جـ) الذى يقاوم أمراض الدم والأسقربوط ويمنع العدوى من بعض الأمراض كما أنه ضد النزيف والتسمم .

كما يحتوى على المركبات البروتينية التى لها أهمية فى بناء خلايا الجسم وتعويض ما يتلف من أنسجته كما أن له مفعول السحر فى شفاء السعال والتهاب الحلق .

كما أنه يحتوى على كمية ملحوظة من أحماض الفواكه التى لها قيمة غذائية كبيرة » .

ويقول الدكتور عبد العزيز إسماعيل : ان السر فى اتصاف عسل النحل بأن « فيه شفاء للناس » يرجع إلى أمور .

٢ — تركيب عسل النحل فهو يتركب من ٢٥ — ٤٠٪ جلوكوز وأن الجلوكوز سلاح الطبيب فى أغلب الأمراض ويعطى بصفته مقويا وضد التسمم الناشىء من أمراض أعضاء فى الجسم مثل التسمم البولى والاضطرابات المعدية المعوية وضد التسمم فى الحميات مثل التيفوئد والالتهاب الرئوى والحصبة وفى حالات ضعف القلب والذبحة الصدرية إلى آخر الأمراض التى يدخل فى علاجها الجلوكوز .

وقد يقال : إن كل أنواع الغذاء لها فوائد والحقيقة أن أنواع الغذاء الأخرى لا تستعمل كعلاج إلا فيما ندر من الأمراض الناشئة عن نقص فى الغذاء .

وإذا عرفنا ذلك علمنا أن القرآن الكريم لم يذكره بطريق المصادفة ولكنه تنزيل ممن خلق الإنسان والنحل وعلم علاقة كل منهما بالآخر .

٢ — أنها تأكل من كل الزهور والنباتات «ثم كلى من كل

الثمرات » واختلاف الثمرات التى يا كل منها النحل له دخل كبير فى أثر الشتاء وفى هذا أيضا إيحاء بتركيب الأدوية من العناصر المختلفة حتى يكون مفعولها قويا .

ما أثبته العلم الحديث من أن عسل النحل يعتبر من الملينات القوية المفعول وفى نفس الوقت مطهر للأمعاء والمعدة ويحتوى على طاقة حرارية لا يستهان بها كما أنه يعاون على تنشيط الكبد وقد تنبه قدماء المصريين إلى ما لعسل النحل من فوائد فعالجوا به مرضاهم ومزجوه بطعامهم وكانوا يطلقون عليه اسم « شراب الآلهة » وكانوا يعتمدون عليه اعتمادا يكاد يكون تاما فى الحصول على حاجة أجسامهم من المواد السكرية وفى علاج الكثير من الأمراض . كما كانوا يستخدمونه فى تركيب مواد التحنيط .

كما أن بعض المؤسسات الألمانية الخاصة بالتجميل تنبهت إلى ما لعسل النحل من بعض الخصائص التى لا توجد فى غيره فأدخلته فى تركيب بعض مستحضرات التجميل الخاصة بدهان البشرة لماله من أثر واضح على الجلد والشعر .

هذا والناظر فى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام حين جاءه رجل يشكو إليه انطلاق بطن أخيه فقال له الرسول عليه السلام اسقه عسلا فسقاه فلم يبرأ فرجع إليه فقال له الرسول: أسقه عسلا وتكرر ذلك من الرجل ومن الرسول عليه السلام ثلاث مرات

وفى الرابعة قال له : أسقه عسلا صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرئ — يرى فيه أمورا .

١ — أنه يثبت بجلاء قوة مفعول عسل النحل كعلاج .

٢ — ان الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية خاصة بحسب قوة المرض وضعفه فاعتبار قوة المرض والمريض ومقادير الأدوية وكيفياتها من أكبر قواعد الطب .

٣ — أن الدواء لا يحدث أثره المطلوب إلا بعد أن يتكرر وقد لا يتحقق البرء من أول جرعة .

وفى هذا يقول ابن القيم : وفى تكرار سقيه العسل معنى طبى بديع وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء إن قصرعنه لم يزله بالكلية وان جاوزه أوهن القوى فأحدث ضرراً آخر فلما أمره الرسول أن يسقيه العسل سقاه مقداراً لا يفى بمقاومة الداء ولا يبلغ الغرض فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء برىء بإذن الله .

وأختم كلمتى بما جاء فى كتاب زاد المعاد لابن القيم فى شأن النحل[1] إذ يقول .

---

(١) شىء من تكوين النحلة التى تفرز عسل النحل . قالوا ان لكل نحلة خمس عيون . ومن بين هذه العيون الخمسة عينان مركبتان يتألف كل منهما من آلاف العدسات التى تعمل كل عدسة منها كما لو كانت عينا قائمة بذاتها .

هو غذاء مع الأغذية ، ودواء مع الأدوية ، وشراب مع الأشربة ، وحلو مع الحلو ، وطلاء مع الأطلية ، ومفرح مع المفرحات فما خُلق لنا شيء فى معناه أفضل منه ولامثله ولاقريباً منه ، ولم يكن معوّل القدماء إلا عليه ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يشربه بالماء على الريق ويقول عليه السلام . عليكم بالشفائين العسل والقرآن فجمع بين الطب البشرى والإلهى وبين طب الأبدان وطب الأرواح وبين الدواء الأرضى والدواء السماوى .

ثم يقول . والعسل فيه منافع كثيرة وعظيمة فإنه جلاء للأوساخ التى فى العروق والأمعاء وغيرها محلل للرطوبات أكلا وطلاء نافع لأصحاب البلغم مغذملين للطبيعة منق للكبد والصدر مدر للبول موافق للسعال وأن شرب ممزوجاً بماء نفع من عضة الكلب الكلب ويحفظ جثة الموتى ويسمى الحافظ الأمين وإذا لطخ به البدن أزال ما به من هوام وان اكتحل به جلا ظلمة البصر وإن استاك به بيّض الأسنان وصقلها وحفظ صحتها وصحة اللثة ، ويفتح أفواه العروق ، ويدر الطمث . وهو مع هذا كله مأمون الغائلة قليل المضار .

كل هذا يثبت لنا بطريق لا يقبل الشك إعجاز القرآن

الكريم وأنه قرر منذ أربعة عشر قرناً حقائق اعترف بها الطب الحديث والقديم .

٢ — الأجنة .

تعتبر آيات الأجنة فى القرآن الكريم من أهم الأدلة التى تثبت معجزة القرآن العلمية إذ أن العلم لم يصل لى الحقائق التى أوردها القرآن الكريم فى هذا النوع من العلم إلا بعد أن اكتشفت المجاهر واستخدمت الأشعة وتقدمت وسائل التشريح ولم يتم ذلك إلا فى أوائل القرن الحالى فوصل العلم إلى ماجاءت به آيات القرآن الكريم منذ أربعه عشر قرناً وأفرد لها ميداناً خاصاً به أطلق عليه علم الأجنة والكلام فى هذا يتعلق بثلاثة مواضع .

الأول . أطوار الجنين الثانى ترتيب خلق الحواس فى الجنين الثالث موضع الخصيتين فى الجنين .

الآيات التى وردت فى أطوار الجنين .

قال تعالى . «اقرأ باسم ربك الذى خاق خلق الإنسان من علق» سورة العلق ١ – ٢

ويقول : « وقد خلقكم أطوارا » سورة نوح ١٧

ويقول . « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك » الزمر ٦ .

ويقول . « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » المؤمنون ١٢ ـ ١٤ .

قرر الطب الحديث أن الجنين بعد التلقيح فى أول تكوينه يكون مستطيلا مثل العلقة تماما ويستمر كذلك فى الأسابيع الأربعة الأولى تقريبا وأن طوله لا يزيد على خمس السنتيمتر الواحد وأنه لا يميز بالعين المجردة ثم يصير بعد ذلك مستديراً بغير انتظام ومكورا ويبقى كذلك بضعة أسابيع وقد سماه الخالق فى هذه الحالة مضغة لكثرة الشبة بينه وبين قطعة اللحم الممضوغة وبعد ذلك تظهر العظام ثم اللحم « العضلات » الذى يكسو العظام ثم يأخذ الجنين فى النمو شيئا فشيئا ثم تحل فيه الروح .

مكان الجنين ـ قال تعالى : « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » وهو كالبيان لما جاء فى الآية السابقة من قوله : « ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » يقرر القرآن فى هاتين الآيتين أن الجنين محفوظ فى قرار مكين

داخل ظلمات ثلاث وهذه الظلمات الثلاث هى التى يعبر عنها الطب الحديث بالأغشية الثلاثة الصماء التى لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة وهى ١ ـ المتبارى ٢ ـ الخريونى ٣ ـ اللفائنى وهذه الأغشية الثلاثة تظهر للعين المجردة كأنها غشاء واحد ولكن التشريح أثبت أنها ثلاثة ولما لم يظهر ذلك للفقهاء قالوا : إن الظلمات الثلاث هى البطن والفرج والمشيمة كل هذه التطورات الجنينية منذ ساعة الإخصاب إلى تخلق العظام والعضلات هو ما تشير إليه الآيات السابقة .

٢ — الموضوع الثانى : ترتيب خلق الحواس فى الجنين منذ ولادته إلى أن يصبح طفلا ثم يكتمل وها هى ذى الآيات التى وردت فى هذا .

١ — قال تعالى «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ».

٢ — ويقول : وهو الذى أنشا لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون .

٣ — ويقول : قل هو الذى أنشا كم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون .

٤ — ويقول . ولقد مكناهم فيما إن مكنا كم فيه وجعلنا لهم

سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء .

٥ — ويقول . ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا وهكذا فى كل الآيات الكريمة التى وردت فيها الحواس نجد السمع أولا ثم البصر ثانياً ثم الفؤاد ثالثاً أمصادفة هذا أم أن هذه الآيات تقرر بذلك حقيقة علمية لم يصل إليها العلم إلا أخيراً فى الوقت الذى جاء بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

يقول الأستاذ نوفل . لقد أثبت العلم الحديث بالتجارب العلمية والأبحاث الطبية أن الجنين يولد وتبدأ حواسه للعمل بعد ذلك وأول الحواس التى يستعملها الطفل هى حاسة السمع إذ أنها تبدأ مبكرة فيستطيع الطفل سماع الأصوات بعد بضعة أيام من ولادته وتزيد قدرته على تمييز الأصوات ويمكن فهمها عن طريق حاسة السمع فى الأشهر القليلة الأولى بينما باقى حواسه تكون معطلة تماماً .

أما حاسة الأبصار فإن الجنين يولد بدون هذه الحاسة ولا يمكن الرؤية إلا بعد ولادته بمدة فشبكة العين لا يكتمل نموها إلا بعد فترة تتراوح بين ثلاثة أشهر وستة أشهر ولا تتم الحركة

كاملة فى أجهزة العين إلا بعد تسعة أشهر حيث يمكن تجميع الألوان الأساسية وكذلك الأشكال أما الادراك والقدرة على الفهم وهو المقصود بالفؤاد فانه يبدأ بعد سنوات عديدة من الولادة وتاخذ فى النحو باستمرار .

٣ — الموضوع الثالث

يقرر القرآن حقيقة أخرى من حقائق علم الأجنة فى قوله تعالى : « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا . . » الآية .

يقول الدكتور عبد العزيز إسماعيل . قد اشتملت هذه الآية الكريمة على عدة معان والذى يعنينا منها ما يتعلق بموضوعنا من الناحية الطبية فالآية تنص على أن الله اخذ ذرية بنى آدم من ظهورهم والمعروف طبياً أن الخصيتين موضوعتان فى الجزء الأسفل لا فى الظهر ولكن الله سبحانه وتعالى إنما يتكلم عن خلق الانسان وذريته ونشاته وهو المعروف الآن بعلم الأجنة ويتكلم عن الجزء الذى يخصص للنطفة فى الجسم من الجنين وقد قرر الطب الحديث أن هذا الجزء فى الظهر عند أسفل الكليتين تماماً ومن هنا تنمو الأعضاء التى تكون الخصيتين وتبقى فى الظهر تحت الكليتين حتى الأشهر الأخيرة من حياة

الجنين فى بطن أمه ، ثم تنحدر إلى أسفل ، وعند الولادة تكون فى مركزها الطبيعى المعتاد .

فالآية الكريمة تشير والحالة هذه إلى النقطة الأصلية فى جسم الجنين التى تؤخذ منها النقطة وهذه هى الظهر بلا شك .

هذا ما قرره علم الأجنة . ولما كان علم الأجنة لم يتقدم إلا فى المائة الأخيرة فإن هذه الآيات تعد فى حكم المعجزات الطبية وتثبت أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنه تنزيل من حكيم حميد .

٣ — الخمر . قال تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » .

لقد كانت الخمر من الأمور التى اختلف الناس فيها قديما وحديثا فمن قائل إنها تفيد فى بعض الأحيان ومن قائل إن القليل منها يفيد وإن الكثير منها يضر . ومن قائل إنها ضارة كثيرها وقليلها إلى أن وضعت موضع الدراسة العلمية والفحص التجريبى على نطاق واسع ولمدد طويلة اتضح بعدها أن القرآن الكريم قد سبق العلم الحديث بتقرير ضررها وأن الاسلام إنما نهى عن شربها لا كأمر يتعبد به ويقتدى به كما كان يظن بل كان ذلك تحقيقا لصالح الانسانية وحماية النوع الانسانى من شرها .

فقد ثبت طبيا أن الخمر أساسها مادة الكحول وهذه المادة وإن كانت مطهرة للجسم من الظاهر إلا أنها إن دخلت المعدة سببت فيها الالتهابات الحادة والقرح المعوية التى قد تؤدى فى نهاية الطريق إلى السرطان كما أنها تحدث التهابا فى الأعصاب وفى الكلى وتصلبا فى الشرايين وتحجرا فى الكبد ولما كان الكبد هو بمثابة المعمل الكيمائى فى الجسم فإن ما ينتج من تحجر فيه أو تليف لهو خطوط عميقة الأثر وثغرات فى صحة الانسان .

وقد ثبت طبيا أيضا أن المقادير الخفيفة وإن كانت لا تؤثر على العقل فإنها تحدث ضعفا فى قوة الارادة وتزيد من الانفعالات النفسية وهذا هو محل الخطر ولهذا حرم الاسلام القليل من الخمر والكثير منه ووضع القاعدة العامة التى تقول : (ما أسكر كثيره فقليله حرام) .

٣ — البلح دواء للحوامل ومرضى ضغط الدم .

قال تعالى فى قصة مريم أم عيسى عليهما السلام : « وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلى واشربى وقرى عينا » ويقول : « فاجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت : ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا » .

نقرأ هذه الآيات من قصة مريم ونمر عليها من غير أن نربط

بين الحالة التى هى عليها وهى فى أيامها الأخيرة من حملها بسيدنا عيسى عليه السلام و بين أمرها بأكل الرطب الذى يتساقط من النخلة حتى جاء العلم الحديث وفسر لنا هذا السر وما فيه من إعجاز قرآنى جاء على لسان محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم قبل أن يوجد العلم الحديث بأربعة عشر قرنا من الزمان .

فقد أثبت التحليل العلمى للبلح أنه يحوى مادة تخفض ضغط الدم عند الحوامل وتؤثر تأثيرا كبيرا فى مساعدة الحوامل على سهولة الولادة .

فقد قدم الدكتور عبدالعزيز شرف رئيس المركز القومى للبحوث بحثا عن البلح وتأثيره على الحامل أثبت فيه أن البلح يقوى انقباضات عضلات الرحم وخصوصاً فى الشهور الأخيرة من الحمل ويقول الدكتور شرف أنه استرشد فى بحثه هذا بالآية القرآنية الكريمة من سورة مريم « وهزى إليك بجذع النخلة » . . .

والبلح له تأثيره الخاص على حركة الأمعاء وبما أن الأطباء يعطون الحامل دائماً مليناً أو مسهلا قبل الولادة لتنشيط حركة الرحم والأخلاء والأمعاء مما بها من بقايا الغذاء التى قد تضر أثناء الولادة فقد وجد من البحث أن البلح يمكن أن يحل محل هذه

الملينات إذ تبين أن خلاصة البلح تزيد من حركة الأمعاء وبالتالى تزيد من انقباضات الرحم كما أثبت أن البلح له تأثير أيضاً على ضغط الدم عند الحامل فهو يخفضه إلى درجات مختلفة تتناسب مع الكمية المعطاة منه وهذا الانخفاض يكون دقيقاً ولمدة قصيرة يرجع بعدها إلى حالته الطبيعية إذ أن ارتفاع ضغط الدم عند الحامل أثناء الولادة له خطورته فقد يسبب هذا الارتفاع الألم والصداع والقلق وغيرها من الأمراض وخصوصا أثناء دور الطلق الذى يسبق الولادة والذى تنقبض فيه العضلات ويعصر الجسم عصرا مما يسبب ارتفاعا فى الضغط . لذلك كان تناول البلح فى الشهور الأخيرة من الحمل له فائدة كبيرة جدا فى انخفاض ضغط الدم عند الحامل وتسهيل الولادة .

ثم يقول الدكتور شرف إنه إذا نقع البلح فى اللبن وأضيف إليه القرنفل فإن تأثيره يكون أقوى وفائدته أعظم .

وتتجه البحوث الآن إلى دراسة عصير البلح الذى يقدر بنحو ٢٠٪ من وزنه لاستخلاص المادة التى تحدث انقباض الرحم وتساعد فى الولادة .

وكذلك عزل المادة التى تخفض ضغط الدم لتجربة كل منهما على حدة ومعرفة تأثيرهما والجرعات اللازمة لاستخدام كل منهما .

ثم يقول الدكتور شرف فى بحثه هذا أن البلح يعادل اللحم فى قيمته الغذائية ويتفوق عليه بما يعطيه من سعرات حرارية ومواد معدنية وسكرية وذلك بالاضافة إلى أنه غنى بالكلسيوم والفسفور والحديد ويحتوى على غالبية الفيتامينات المعروفة .

كما أنه يفيد فى وقاية الجسم وعلاجه من أمراض العيون وضعف البصر والأمراض الجلدية والأنيميا ولين العظام والبواسير

٤ — ارضاع الأم ولدها .

قال تعالى : والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة قال المفسرون إن الآية خبرية اللفظ إلا أنها انشائية فى المعنى فهى تدل على الأمر والمعنى ليرضعن أولادهن .

وإنى أسوق الحديث هنا إلى الأمهات الجاهلات أو المشرفات المنعمات اللاتى يخيل إليهم أن التخلى عن الرضاع إبقاء على صحتهن وجمالهن.

فقد أثبت الطب الحديث أن ارضاع الأم ولدها فيه كسب كبير وإبقاء على صحة الأم والوليد وهو ما يرشدنا إليه القرآن الكريم ويؤيده العلم الحديث .

وإنى استرشد فى هذا الموضوع ببحث للدكتور محمد وصفى إذ يقول :

فى هذه الآية الكريمة تنبيه إلى الواجب الأدبى والانسانى

الذى يجب أن تلتزمه الوالدة فى ارضاع ولدها وأن ارضاع الأم ولدها هى القاعدة التى يجب اتباعها بنص الآية الكريمة أما الأرضاع بواسطة مرضعة مأجورة أو غير مأجورة فلا يكون إلا فى حالات استثنائية معينة كانقطاع لبن الأم أو تشقق الحلمة وهو ما تشير إليه الآية الكريمة وتعنيه إذ تقول : « وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم » .

وارضاع الأم ولدها يرجع بالخير على الأم والولد معا .

١ — الفائدة التى تعود على الأم من ارضاع ولدها .

إن الارضاع هو المتمم الطبيعى للحمل والوضع فإن اعداد الغدد الثديية للمولود المقبل تبدأ فى الشهر الأول من الحمل وعلامة ذلك تضخم الغدد والتكاثر السريع للبشرة المخاطية للقنى اللبنية وإنتاج عديد من الثغور الافرازية الجديدة .

وفى النصف الثانى من مدة الحمل يمكن أن يلاحظ وجود سائل مفروز من حلمه الثدى أما افراز اللبن الحقيقى فلا يبدأ إلا فى اليوم الثانى أو الثالث حتى ولو ولد الطفل ميتا ويلاحظ أن كمية اللبن للمرضع يزداد باضطراد فى مصلحة الرضيع .

وتمر الوالدة بعد وضع مولودها بفترة هامة من حياتها الجنسية

تعرف بفترة النفاس وهى الفترة التى تقع بين الولادة ورجوع الرحم إلى شكله الطبيعى .

فبعد الوضع تبدأ عملية ارجاع الرحم إلى حالتها الطبيعية وإن ارضاع الطفل ومص ثدى أمه يعد من الضروريات اللازمة لحض الرحم على الدخول فى انقباضات قوية تحدث كلما ضمت الأم الطفل إلى صدرها وهذه الانقباضات الرحمية التى تحرضها الرضاعة توقف فى الوقت نفسه أى ميل للنزف من الجيوب الوريدية .

كما أن الرضاعة تسبب انقطاع الحيض خلال مدة الرضاعة وهذا ممـا يساعد على اراحة الأعضاء التناسلية ومنع احتقان الرحم وسهولة انـكماشه .

٣ — الفائدة التى تعود على الطفل .

لا شك أن الطفل يستفيد من رضاعته من والدته أجل فائدة فمنذ ولادته له الأم من ثدييها فى اليومين الأولين بعد الولادة ما هو أمس الحاجة إليه من مادة تحمل خاصة الثليين وتفيد الرضيع على وجه عام كما تفيد جهازه الهضمى .

ولبن الأم يلائم حياة الطفل ملاءمة تامة فيزيد مقداره فى الحجم وفى تنوع محتوياته حسب حاجاته . كما أنه تتوافر فيه المواد التى يستحيل أن تتوافر فى لبن آخر سواه من أى صنف من

الحيوانات الثديية ، ولا يمكن أن تقوم هذه الألبان مقام لبن الأم على الوجه الأكمل .

فلبن الأم يحتوى على خميرة خاصة تحيل النشا إلى سكر وهذه المادة لا توجد فى غيره من الألبان ، ويحتوى كذلك على خميرة أخرى تساعد على حدوث التبادل الغذائى وهى لا توجد فى غير لبن المرأة هذا إلى جانب خمائر اخرى عديدة توجد فى لبن المرأة وإن وجد بعضها فى لبن الأم فلا توجد كلها مجتمعة الا فى لبن بنات حواء .

وهكذا نرى ديننا لم يامر الوالدة بإرضاع ولدها إلا حفظا لسلامتها وسلامة ابنها من العلل والامراض ولم يصرح باستئجار مرضع إلا فى حالات معينة تدعو إليها الضرورة (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) .

٥ — تحريم بعض أنواع المأكولات لتحقق ضررها .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله . . » البقرة ٧٣ .

هذه الآية الكريمة تنص على حرمة أنواع من المأكولات لحكم عرفها الطب الحديث .

الأول : الميتة ، فالحيوان الميت لا يموت إلا لسبب مثل المرض أو الشيخوخة وقد قرر الأطباء ان الوفاة ان كانت بسبب المرض فما لا شك فيه أن لحم الميتة يكون غير صالح للأكل نتيجة التسمم من مواد غير طبيعية وضارة للإنسان حتى بعد أن يعقم من الجراثيم بطريق النار فالجسم الميت فى هذه الحالة يشبه الغذاء والمتخمر الذى مهما طهر من الجراثيم بالحرارة لا يزال مضراً بالأجسام وربما أدى الأكل منه إلى الوفاة .

وان كانت الوفاة بسبب الشيخوخة فضررها كضرر الميتة بالمرض لأن الشيخوخة معناها انحلال بعض الأنسجة فتؤدى إلى انحلال الكل ، وانحلال بعض الأنسجة لا يأتى إلا لضعف طبيعى فيها ، أو لمرض تدريجى يحدث تغيرات فى لحم الحيوان تقلل من قيمتها الغذائية كما تقلل من قابليتها للهضم .

ولا يقال : ان الميتة تؤكل فى البلاد الباردة وكذلك لحوم بعض الحيوانات تؤكل من غير ذبح وبدون ضرر ظاهر لأن ضرر التخمر وان قل فى البلاد الباردة لكنه كثير فى البلاد الحارة والدين الإسلامى أنزل للعالم كله بما فيه الأقاليم الحارة التى يحدث التخمر والتسمم فيها بسرعة مدهشة .

الثانى : الدم . وهو نسيج أغلبه وأهم عنصر فيه الكرات

الحمراء وهى خلايا حية وفيه من افرازات الجسم ما هو معد للأفراز بواسطة البول والعرق وغيرهما .

فالدم فى الحقيقة كما يقرره الطب مزيج من مواد أغلبها مضر بالجسم ويجب أن تفرز ، وإذا كان الحيوان المأخوذ منه الدم مريضاً كان أكل الدم أشد ضرراً ، كما أن بقاؤه فى جسم الحيوان وأنسجته قبل أكله مضر جداً لما فيه من مواد مضرة تحدث تخمراً بسرعة فى أنسجة الحيوان مثل العضلات فيكون لحمه غير صالح للأكل .

ومن المعروف عند الأطباء أن الدم أسرع وسائل العدوى للأمراض ، وأنه إذا استعصى بعض الأمراض على الأطباء فإنهم يلجأون إلى تحليل الدم للكشف بواسطته عن الأمراض .

الثالث : لحم الخنزير . حرم الدين الإسلامى لحم الخنزير لأسباب كثيرة وإن لم يذكرها الدين ولم يعرفها القدماء إلا أن العلم الحديث أثبت بعضها ، وأثبتت التجربة والمشاهدة بعضها الآخر ، وأهمها .

١ — ثبت طبياً أن كثيراً من الخنازير يصاب بمرض يقال له : « تركينا » وهو نوع من الديدان خطر لأنه إذا أصيب به

الإنسان يحدث به تسمماً عمومياً واسهالا مثل « الكوليرا » وقد يؤدى إلى الوفاة .

كما ثبت أن لحم الخنزير المصاب بهذا المرض لا يمكن تطهيره من هذا المرض بسهولة لأن الحيوان المصاب به يعتبر فى حالة تسمم عمومى .

ولم يشاهد الطب هذا المرض بين المسلمين الذين يحرمون أكل الخنزير بينما هو كثير الانتشار بين الأمم التى تبيح أكله كأوروبا وأمريكا .

٢ — ثبت طبياً أيضاً أنها تصاب بكثرة بما يسمى الدودة الوحيدة أو حويصلات الديدان الشريطية وقد ثبت علمياً أن هذه الحويصلات لا يمكن معرفتها فى الحيوان الحى فإذا أصابت أجسام بعض الحيوانات إصابة شاملة كان من العسير معالجتها وإبادتها بطريقة فعالة .

٣ — الخنزير فى الأصل من الحيوانات المفترسة ومن المعروف أن نابى الخنزير يقطعان وهو صغير والا كان خطراً على كل من يقترب منه بعد نموه واكتمال قوته .

كما أن من الشائع جداً أن أنثى الخنزير كثيراً ما تصاب بجنون النفاس بعد الولادة فتاكل مواليدها أن لم يبعدوها عنها .

وكثيراً ما تهاجم من يتعرض لها فى فترات النفاس بشراسة واستهامة وقد حرم الدين الإسلامى أكل لحم حيوان مفترس بل حرم لحوم الحيوانات آكلة اللحوم عامة وأن لم تكن مفترسة .

٤ — الخنزير بطبعه من الحيوانات الوالغة كالضباع ، فهو يلغ فى الأرض وقد يأكل الميتة والقذارة ويستطعمها .

٥ — من الملاحظ كثيراً أن من يتناولون لحم الخنزير بكثرة يكون عندهم نوع من التبلد وينعدم لديهم قدر كبير من النخوة لهذا فكثير من عقلاء المسيحيين يرفضون أكل لحم الخنزير .

من أجل هذا كله ومن أجل ما خفى علينا حتى الآن حرم الدين الإسلامى أكل لحم الخنزير .

ومن هنا نعرف حكمة الدين الإسلامى فى اجتناب الضرر الذى لا يمكن الوقاية منه إلا بطرق ليست سهلة التناول ، وأن أحسن وقاية عملية هى الامتناع عن أكله .

٦ — اعتزال النساء فى المحيض للضرر الصحى .

قال تعالى . « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » البقرة ٢٢٢ .

أوضحت هذه الآية الكريمة أمرين .

الأول : عرف منها الانسان قبل أن يعرف شيئاً عن أنواع الافرازات الجسمية ان المحيض أذى ، وأنه لا يفيد الجسم ، وأن خروجه ضروري .

الثاني : قرر الأطباء أن اقتراب الرجل من المرأة في هذه الحالة مضر بالرجل والمرأة معاً ؛ أما من ناحية الرجل فلحصول الضرر الصحي في الغالب والكثير .

وأما من ناحية المرأة فإن الأعضاء التناسلية عندها تكون في حالة احتقان . والأعصاب تكون في حالة اضطراب ، بسبب إفرازات الغدد التناسلية .

٧ — عدة المرأة المطلقة .

قال تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء .. » البقرة ٢٢٨ تدل هذه الآية على :أن براءة الرحم تكون بثلاثة قروء ، ومدتها :ثلاثة أشهر ، وهي عدة المرأة التي لا تحيض. قال تعالى : « واللائي لم يحضن » أي فعدتهن ثلاثة أشهر ، وميعاد الثلاثة أشهر هو ميعاد موضوع بحكمة فائقة ؛ فقد قرر الطب أنه قبل الثلاثة الأشهر يصعب جداً التثبت من الحمل ، حتى بواسطة الأطباء الإخصائيين ، وبعد هذا التاريخ تكون أعراض الحمل قد ظهرت ؛ وذلك بعدم نزول الحيض ، وكذلك الاضطرابات

المعدية ، وما إلى ذلك من العلامات التى يعرفها الأطباء .

وهذا سر من أسرار القرآن الكريم ، ومعجزة طبية يعترف بها الطب الحديث .

وهكذا يخدم العلم القرآن ويشرح أسراره . وكلما تقدم العلم كلما ظهر إعجاز القرآن الكريم ووضحت آياته ؛ حتى يتبين للناس أنه الحق ، وإنه تنزيل من حكيم عليم .

٨ — إثبات أن كل كائن حى يحتاج إلى النوم .

قال تعالى : « الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم » . البقرة ٢٥٥ .

هذا أبلغ وصف فى الاختلاف بين الذات الالهية وبين الانسان ،فبعد أن وصف القرآن الكريم الإله بأنه حى،وصفه بأن صفة الحياة فيه تختلف اختلافاً كلياً عن حياة سائر الحيوانات؛ لأن كل كائن حى يحتاج إلى النوم ،والإله لا ينام أبداً . فكان الآية تقول : إنه حى باق لا يموت ولا ينام؛لأنه لوجاز عليه النوم لجاز عليه الموت ، لأنه لاحياة بدون نوم . وقد اتجهت الأبحاث العلمية الطبية أخيراً إلى : أن النوم ناشىء من تغييرات كيميائية تحدث من الحركة فى الأنسجة ، فإذا استمرت هذه التغييرات ومنع النوم بالقوة أدى ذلك إلى الموت حتما . أما إذا تركت وشأنها

فإنها تؤدى إلى النوم، الذى يعيد التغيرات الكيميائية إلى ما كانت عليه قبل الحركة :

ومن هنا تظهر لنا حكمة الله تعالى فى هذا التعبير الدقيق ، الذى يدل على أن القرآن الكريم لا تنتهى أسراره وعجائبه ، وأنه معجزة الأزمان والدهور .

٩ — بيان أن موضع الاحساس والألم الطبقة الجلدية .

قال تعالى : « إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما » النساء ٥٦ .

قرر الطب — وأيدته التجربة والمشاهدة — : أن موضع الإحساس والألم إنما هو فى الطبقة الجلدية ، فإذا ما تعديا الطبقة الجلدية إلى الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية كان إحساسها ضعيفا بل قد يكون معدوما .

وهذا ما تدل عليه الآية الكريمة فى شأن تعذيب الكافرين وهو : أنهم إذا ذهب إحساسهم بالألم بسبب احتراق الطبقة الجلدية بدلهم الله غيرها حتى يستشعروا ألم العذاب .

فهل جاء إلينا الطب بشىء جديد بعد هذا الإعجاز القرآنى ؟

١٠ — الصوم وأثره فى شفاء كثير من الأمراض .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » البقرة ١٨٣ .

ختمت آية الصوم هذه بقوله تعالى : « لعلكم تتقون » ومن التقوى : الوقاية من تحكم الشهوات المحرمة والشهوات المضرة بالصحة، وكذلك الافراط فى تناول الطعام والشراب، حتى تستريح المعدة، وتقوى على أداء عملها على أكمل وجه .

فقد تبين للمشتغلين بعلاج الأمراض ــ منذ وجد علم الطب ــ أن للأغذية دخلا عظيما فى إصابة الأجسام والأدواء المختلفة، لا من ناحية الأفراط فيها فحسب، ولكن من ناحية التسمم بالعناصر الداخلة فى تركيبها أيضا .

كما تقرر علميا : أن الأجساد البشرية إذا لم يراع فى تغذيتها الاعتدال وتخير ما يناسبها من المواد الغذائية فسدت أعضاؤها، وتصلبت شرايينها، وتعدت هذه المواطن إلى الصفات الأدبية، فيتولد عنها ضيق الخلق، والضجر، والحمق واليأس، الذى قد يسوق إلى الانتحار .

كما قرر الأطباء : أن الإنسان متى وصل إلى هذه الحالة أو بعضها كان أحوج ما يكون إلى الإمساك عن الطعام أياما متوالية، بل أسابيع، لطرد هذه المواد الدخيلة على الجسم .

وقد أدرك هذا المعنى علماء الطب قديماً ، منها ــ هوذا أبوقراط يقول : « أكل الناس أكل السباع فمرضوا فغذيناهم بغذاء الطيور فصحوا » .

ويقول سقراط ــ الفيلسوف الاغريقى ــ : « من العيب أن يصل الانسان إلى سن الشيخوخة وضعفها فى سن مبكرة ، وذلك نتيجة جهله لما يكون عليه جسمه من صحة وكمال . إن الصحة والكمال لا يأتيان للجسم من تلقاء نفسيهما ؛ فإن من لا يعتنى بجسمه ويحافظ عليه لن يملك من الصحة والكمال شيئا » .

وهاهوذا ــ سيد الخلق وسيد الأطباء ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ــ حينما أهدى إليه المقوقس جارية وعسلا وطبيبا ــ فإنه قبل الجارية والعسل ورد الطبيب ، وقال : لاحاجة لنا به نحن قوم لانأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع . فرجع الطبيب إلى المقوقس وقال له : أرسلتنى إلى رجل جمع الطب فى كلمتين .

ويقول طبيب العرب ــ الحرث بن كلده ــ : «الداء الدوى إدخال الطعام على الطعام ، فهو الذى يفنى البرية ويهلك السباع فى البرية ، وإياك والتخمة ، فهى إن بقيت فى الجوف قتلت ، وإن تحللت أسقمت ، وإياك ودخول الحمام شبعان ، والنوم بالليل عريان ، والقعود على الطعام غضبان ، وقلل من طعامك تكن أهنأ

لنومك ، وعليك بالحمية والاقتصاد فى كل شىء ، فإن الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ، ويسد مسامها .

وسئل حكيم عن علاج نافع للمعدة فقال : « أن تجلس على الطعام وأنت تشتهيه ، وتقوم عنه وأنت تشتهيه .

وقالوا : إن الإنسان لا يحتاج لكى يعيش إلا لربع ما يأكله عادة ، أما الثلاثة الأرباع الباقية فإنه بأكلها يعيش الأطباء » .

ويحدثنا الرواة : أن حكيما من حكماء العرب آمن عندما سمع قوله تعالى : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » وقال : لقد جمعت هذه الآية الطب والحكمة معا .

من كل هذا ـ نعلم أن القرآن الكريم قد سبق الطب الحديث فى تفهم معنى الصوم وحقيقته ، والآثار التى تترتب عليه .

الطب النبوى :

قدمنا طرفا من الطب القرآنى ، وها نحن أولاء : نقدم طرفا من الطب النبوى ، الذى جاء على لسان خاتم النبيين ، الذى خاطبه ربه بقوله : « وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » .

١ ــ الحمية .

قال صلى الله عليه وسلم : « المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء »(١) .

وقال : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » .

وقال : « إن الله إذا أحب عبداً حماه من الدنيا كما يحمى أحدكم مريضه عن الطعام والشراب » .

وقال : إياكم والبطنة ؛ فإنها مفسدة للدين ، مورثة للسقم، مكسلة عن العبادة » .

وقال : « إن المعدة حوض البدن ، والعروق إليها واردة ، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة ، وإذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم » .

وقال : «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه . بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

---

(١) اشتهر إسناد هذا الحديث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقول ابن القيم : هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب. ولا يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قاله غير واحد من أئمة الحديث .

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال : « تجشا رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الرسول عليه السلام : كف عنا جشاءك ، فإن أكثرهم شبعاً فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة » .

هذه جملة من الأحاديث الشريفة التى وردت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحمية ، منذ أربعة عشر قرنا ، والطب لا يزال طفلا رضيعا ، ثم شب الطب وترعرع وشاخ ولم يزدها إلا إثباتا وتحقيقاً ؛ لأن المعدة عضو رئيسى للهضم ، والهضم قوام الحياة للانسان ، وفى صحتها صحته وسعادته ، وفى اعتلالها شقاوته وبليته . ولو كان تأثيرها مقصورا على اعتلال الصحة وضعف البنية لهانت مصيبتها فيها ، ولكن فى اعتلالها اعتلال العقل أيضا ؛ فمن ضعفت معدته وعسر هضمه ساءت طباعه ، وضاق خلقه وضعف تفكيره وإنتاجه ، وأصبح لا يرى من الدنيا إلا مصائبها ومتاعبها ، وأن أربعة أخماس مصائب الناس منشؤها انحراف عمل المعدة .

فمن أين لمحمد بن عبدالله هذه الحقيقة ، وهو الأمى الذى نشأ فى صحراء مكة ، ولم يجلس أمام معلم ، ولم يدرس فى جامعة علمية ؟!!

الجواب : تولاه الله ؛ إذ يقول : « وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » .

٢ — اللبن غذاء كامل .

روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .« من سقاه الله تعالى لبنا فليقل. اللهم بارك لنا فيه وزودنا منه فإنه ليس شىء يجزى من الطعام والشراب غير اللبن » وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال . « عليكم بألبان البقر فإنها ترم « تأكل من كل الشجر » . حديثان نطق بهما محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه وجاء الطب الحديث بأبحاثه وتقاريره عن اللبن وعناصره المختلفة التى يتركب منها بما لايخرج عن أن يكون شرحا وتفسيرا لما تضمنه هذان الحديثان .

فقد قال الطب الحديث أن اللبن غذاء كامل يحتوى على كل العناصر التى يحتاج إليها الجسم فهو فضلا عن أنه يمد الجسم بالغذاء يمده أيضاً بما يحتاج إليه من الماء سواء فى ذلك الصغار والكبار .

ولقد فطنت الأمم المتحضرة إلى ما للبن من أهمية بالغة فعمدت إلى إنشاء مراكز لإرشاد الأمهات والمرضى إلى مااللبن من منافع وفوائد لهما على وجه الخصوص .

وكأنى بالحديث الشريف يقول لهؤلاء وهؤلاء لقد سبقتكم فى إعلان هذه الحقائق منذ أربعة عشر قرناً .

وصدق الله إذ يقول .« وإن لكم فى الأنعام لعبرة. نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » .

ثم هو سائغ للشاربين لأنه يتكون من مواد بسيطة ومواد مركبة على حالة توافق وتناسب كل من يتناوله .

وجميع الألبان الناتجة من الإنسان ومن أنواع الحيوانات المختلفة تحتوى على مركبات متماثلة فى التركيب هى الدهن والمواد البروتينية والأملاح والماء ـ إنما تختلف فقط فى نسبتها المئوية حتى تلائم أفراد جنسها .

وهو الغذاء الوحيد الذى يتناوله الإنسان من اليوم الأول لولادته ويستسيغه حتى اليوم الأخير من حياته .

هذا وقد نشر معهد الأبحاث الطبية البريطانية أن اللبن يعد علاجا إسعافيا سريعاً للحروق البسيطة .

٤ ــ الكلاب تحمل جراثيم الأمراض .

ازداد شغف الناس فى هذا العصر بتربية الكلاب ومداعبتها وتقبيلها والسماح لها بلمس أيدى الصغار والكبار ولعق فضلات الطعام من الأوانى المعدة لحفظ المأكولات .

وهذه العادة لا تتفق مع التربية الدينية ولا مع التهذيب الخلقي والنفسي ولا مع القواعد الصحية والنظافة فقد قرر الطب الحديث أن الكلب يحمل إحدى الطفيليات التي تسمى « دودة الكلب الشريطية » ولا يزيد طولها عن نصف سنتيمتر ويحتوى العضو الخلقي منها على ٥٠٠ بويضة دقيقة جدا وهي تمتاز بمقاومتها الشديدة ، فتتحمل الجفاف التام وتعيش في الماء كما لوحظ أن حياتها لا تقل عن ١١٦ يوما في درجة حرارة بين واحد فوق الصفر وواحد تحت الصفر دون أن يدب إليها الفساد أو تبطل قوتها أو مفعولها .

هذا الكشف الطبي والعلمي وعلاجه قد أرشد إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث شريف رواه البخاري إذ يقول عليه السلام : « إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا إحداهن بالتراب » .

ويلاحظ أن هذا التشديد في النظافة الوارد في الحديث لم يرد مثله في غير الكلب كما أنه لم يرد استعمال التراب في التنظيف إلا في ولوغ الكلب وذلك للإشارة إلى العدوى المظنونة على الأقل من مرض الكلب ، وأن القضاء على ميكروبه لا يكون إلا بتكرار النظافة سبع مرات « والعدد لا مفهوم له » ويزاد

على ذلك استعمال التراب كمطهر ، فقد ثبت أن التراب يحمل خاصية قتل هذا الميكروب أو هو مضعف لقوته على الأقل .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أذكر هذا الأحصاء الذى تقدم به الدكتور أمين زاهر وكيل الزراعة المسئول عن الثروة الحيوانية إلى المسئولين ويطلب فيه إصدار قانون بقتل الكلاب والقطط .

يقول التقرير : إن الدولة تتكلف كل سنة ١٧٦ر٦٤٨ جنيها قيمة الحقن التى يعالج بها المصابون فى الجمهورية العربية المتحدة ، ٤١٤ر٢٩٤ جنيها قيمة سفرهم من بلادهم إلى المستشفى وإقامتهم وتغذيتهم ، ٢ر٣٥٥ر٣١٢ جنيها قيمة تعطل المعقورين عن أعمالهم ، ١٠٠ر٠٠٠ جنيها تقبيا للقدرة الإنتاجية التى يفقدها المواطنون بسبب نباح الكلاب طول الليل وإقلاق راحة الناس ٤٠ر٠٠٠ جنيها قيمة خسائر الحيوانات التى تعقرها الكلاب والقطط والمجموع حوالى ٣ مليون جنيها ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

٥ — السواك مطهر للفم منظف للأسنان .

الفم والأسنان من بين الأجهزة الهامة فى جسم الإنسان ، والفم يحتوى على الغدد اللعابية التى تلعب الدور الأول فى عملية

المضم مع الأسنان التى تطحن المواد الغذائية ويساعدها اللسان والشفتان .

والأسنان يتصل بعضها بالعين اتصالا مباشراً وغير مباشر إذا مرضت بعض أمراض العمى المؤقت وأمراض الجهاز المضمى وأمراض الغدد الداخلية الهامة فى الجسم وكذلك الأمراض الروماتيزمية .

هذه هى أهمية الفم والأسنان التى عرفها العلم الحديث وقد خصها التشريع السماوى بأهمية خاصة على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال :

« لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة »

وقد قرر الفقهاء ورجال الحديث أن المنفى هو فرضية الاستياك خوف المشقة كما أجمعوا على سنيته عند كل صلاة لتطهير الفم وتنظيف الأسنان مما علق بها من بقايا الطعام .

وروى عن أبى ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وما جاء فى جبريل عليه السلام إلا أوصانى بالسواك حتى خشيت أن يفرضه على وعلى أمتى وإنى لأستاك حتى لقد خشيت أن أحفى مقادم فمى » .

فإذا طبقنا ما جاء فى هذين الحديثين على النظريات العلمية الحديثة لصحة الفم والأسنان وجدنا أن الحديثين قد وعيا وجمعا كل الوثائق العلمية الحديثة التى اكتشفها العلم فى عصرنا هذا .

وإن تعدد استعمال المسواك مع كل صلاة وبعد كل طعام ــ وأقله ثلاث مرات فى كل يوم ــ يساعد على تنظيف الأسنان واللثة .

فإن التجارب الحديثة أثبتت أن الميكروبات التى تحتمى تحت المواد الدهنية تهاجم مينا الأسنان فى ظرف ٢٠ دقيقة من بعد كل أكلة : وأن الطعام يبدأ فى التعفن بعد ساعتين وبذلك تتأثر اللثة وتسبب الجيوب بين الأسنان التى تسبب سقوطها بعد ذلك هذا الروائح التى تخرج من الفم وتجعل صاحبها موضع النفور والازدراء .

ووسيلة التنظيف هى السواك الذى كانت تستعمله العرب وهو يحوى مادة فعالة فى التنظيف والقضاء على الميكروبات فقد نشرت بعض الصحف اليومية أن مدير معهد علم الجراثيم والأوبئة فى جامعة « روستوك » بألمانيا الديموقراطية اكتشف سراً علمياً هاماً أثبت فيه أن السواك الذى يستعمله العرب منذ مئات السنين كفرشاة الأسنان من أرقى وسائل تنظيف الأسنان لاحتوائه على مادة فعالة قاتلة للميكروبات تفوق فى مفعولها البنسلين .

وفى حكم السواك كل ما يقوم مقامه ويؤدى وظيفته كالمعاجين المختلفة التى تستعمل مع الفرشاة الخاصة ومما يتصل بالسواك من الناحية العملية تخليل الأسنان بإخراج ما بينها من الأطعمة التى يصعب استخراجه بواسطة السواك أو الفرشاة حتى لا تبقى فضلات الطعام بين الأسنان . وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « يا حبذا المتخللون من الطعام إنه ليس شىء أشد على الملك من بقية تبقى فى الفم من الطعام » .

من كل ما تقدم يتبين لنا أن ترك تخلل الأسنان واستعمال السواك أو ما فى حكمه يتسبب فى :

١ — ترك بقايا الطعام بين الأسنان فتتعفن وتولد الميكروبات الضارة بالأسنان .

٢ — تسرب هذه الميكروبات إلى المعدة ثم إلى الدم فتتكاثر وتصيب الإنسان بمختلف الأمراض .

٣ — التهاب اللثة وتقيحها ثم تكون أكياس صديدية فى جذور الأسنان تتحلب وتتسرب إلى الدم فيصاب الإنسان بمختلف الأمراض .

٤ — إصابة الإنسان بالنجروتين ريح الفم .

فلو أخذ كل منا نفسه باستعمال السواك أو ما فى حكمه

واتبع أوامر الشرع الشريف لوقى الإنسان نفسه من هذه الأمراض .

وهكذا تتجلى لنا الحكمة البالغة فى حديث المسواك والذى يعتبر معجزة طبية نزلت من السماء على لسان خاتم الأنبياء .

٦ — حديث الثوم :

قال صلى الله عليه وسلم : « كلوا الثوم نيئاً فلولا أن الملك يأتينى لأكلته » .

يامر الرسول صلى الله وسلم أصحابه بأكل الثوم نيئاً ، ثم يقول ولولا أن الملَك يأتينى ويخاطبنى وأخشى أن يتأذى من رائحة القوم لأكلته .

فما هو السر الذى جعل الرسول عليه السلام يأمر أصحابه والمسلمين بأكل الثوم ؟

لقد تولى الطب الحديث الإجابة على هذا التساؤل بما يؤيد إعجاز الحديث النبوى ويشرح السر فى أمر الرسول بذلك .

فقد أظهرت تجارب الأطباء المشهورين كشاليه ، وبيرت ولوبر ، ودوبريه ، وغيرهم أن الثوم يذيب البلورات التى تتجمع فى الجسم ويقلل الضغط فى الشرايين .

يراجع ما كتبه الدكتور عز الدين فراج فى كتابة الخضروات وقيمتها الغذائية .

وقد وصف بعض الأطباء القدامى الثوم للمصابين بتصلب الشرايين ، وضغط الدم العالى ونشرت صحيفة الأهرام تحت عنوان حقائق علمية ما يأتى :

كان الرومان القدماء يطعمون عمالهم الثوم ليزدادوا قوة ويطعمونه لجنودهم ليزدادوا شجاعة وقالوا إن الثوم يؤثر تأثيراً مباشرا على عضلات القلب فينشطها وينشط معظم الدورة الدموية وقد عرف فائدة الثوم أطباء العرب يقول ابن البيطار : الثوم مدر للبول ، وطارد للدود ، وأنه إذا خلط بالملح والزيت أبرأ البثور وإذا خلط بالعسل والبورق أبرأ حب الشباب وقروح الرأس ، والبهق والجرب المتقرح ، كما أنه عظيم الفائدة للمصابين بالربو ويقول الطب الحديث : إن لأبخرة الثوم والبصل نفس التأثير الناتج عن عصيرها ، فقد ثبت أن ميكروبى الدفتريا ، والدوسنتاريا تموت بعد خمس دقائق من تعرضها للمواد الطيارة المنبعثة من الثوم والبصل ، وقد استعملت هذه الأبخرة فى علاج الجروح فى مستشفيات روسيا وأتت بأحسن النتائج .

كما ثبت أن مضغ الإنسان للثوم والبصل مدة ثلاث دقائق

يعد كافياً فى قتل جميع الميكروبات التى تكون بالفم ، وإلى التعقيم بما يحتويه كل منهما من مادة كبريتية تطهر المسالك التنفسية وتزيل البلغم ، وقد حدثنى أحد الأطباء الصيدليين فى شأن الثوم فقال إن أكثر الأدوية الخاصة بالقلب الثوم أهم عنصر فيها .

ولما كان الثوم يحتوى على مادة كبريتية تفوح رائحتها فى المسالك النفسية فتسبب الرائحة التى قد يتأذى منها بعض الناس فقد جاء النهى عن إجتناب من يأكله مخالطة الناس حتى تزول رائحته ففى الحديث « من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا أو ليقعد فى بيته » .

فلا تعارض بين الأمر بأكل الثوم وبين إعتزال من يأكله الناس ، فواجب المسلم فى هذه الحالة أن يبتعد عن مجالس المسلمين وحضور جمعهم وأعيادهم حتى تزول رائحته إن لم يجد ما يزيل به الرائحة بعد الاستعمال مباشرة .

أما امتناع الرسول عليه السلام من أكله مطلقا فإنه معرض لمقابلة الملك فى كل لحظة فهو يخشى إن أكله أن يفاجئه الملك بالوحى فيتأذى من رائحة فمه .

فمن أين لمحمد بن عبد الله هذا إنه الإعجاز ، وما ينطق عن الهوى .

٧ — اطوار الجنين فى بطن أمه .

قال صلى الله عليه وسلم : « أن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين ليلة ، ثم يكون علقه مثلك ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات ، فيكتب رزقه وعمله ، وأجله ، وشقى أو سعيد ، ينفخ فيه الروح » .

هذا الحديث فيه تحديد لكل طور من الأطوار التى يعرض لها الجنين فى بطن أمه ، وبيان المدة التى يمر بها كل طور ، والحديث بهذا يكون مبينا وموضحا للآية الكريمة التى مرت بنا سابقا وهى قوله تعالى . « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .

هذه المراتب ومدتها التى أشار إليها الحديث هى من خصائص علم التشريح والأجنة .

فقد قرر كل منهما أن هناك أطوارا يجب أن تمر بالجنين فى بطن أمه من وقت أن يكون نطفة ويذكرون بالتفصيل الزمن

الذى يمر به كل طور معتمدين فى كل ذلك على المشاهدة العملية ولا يخرج ما ذكروه عن الحديث .

لاشك أن هذا سر من أسرار النبوة كما كان سرا من أسرار القرآن الكريم شاهد بما لهما من الإعجاز .

٨ — الاعتدال فى الطعام والشراب .

قال صلى الله عليه وسلم : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ويقول : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » .

ويقول : « جوعوا تصحوا » .

ويقول «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

هذه الأحاديث كلها وغيرها يجمعها إطار واحد وهى تدور حول الاقتصاد فى المأكل والمشرب وذلك يتحقق باحد أمرين الصيام ، وتنظيم المأكل والمشرب والبعد عن الإسراف فيهما والاقتصاد على مرتبة الحاجة ، فقد قسم أطباء المسلمين الأولون مراتب الغذاء إلى ثلاث . (١) مرتبة الحاجة . (٢) مرتبة الكفاية (٣) مرتبة الفضلة . وأفضل مراتب الغذاء المرتبة الأولى وأقيمها المرتبة الثالثة لأن من يصل إليها يكون قد عرض نفسه للأمراض المختلفة .

والطب الحديث يعلن هذا فقد ثبت للمشتغلين بعلاج الأمراض منذ وجد علم الطب أن للأغذية دخلا كبيرا فى إصابة الأجسام بالأدواء المختلفة لامن ناحية الأفراط فيها فحسب ولكن من ناحية التسمم بالعناصر الداخلة فى تركيبها أيضاً .

كما تقرر علميا أن الأجسام البشرية إذا لم يراع فى تغذيتها الاعتدال وتخير مايناسبها من المواد فسدت أعضاؤها وتعبت شرايينها وسببت لها أعراضا ثقيلة من الألم وضعف الذاكرة كما قرر العلماء أن الإنسان متى وصل إلى هذه الحالة أو بعضها كان أحوج مايكون إلى الإمساك عن الطعام أياما متوالية بل أسابيع لطرد هذه المواد الدخيلة على الجسم .. أو على الأقل اتباع نظام خاص فى نوع الأكل وزمنه وهو المعروف «بالرجيم» هذا الذى أثبته الطب قديما وحديثا فى علاج الكثير من الأمراض بالصوم والإقلال من الطعام هو الذى أثبته الأحاديث السابقة كما أثبته من قبل القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا فهل لقومى أن يرجعوا إلى رشدهم ويستمعوا إلى تعاليم دينهم وسنة نبيهم ويحافظوا على صيام شهرهم حتى لا يصدق عليهم قول الله تعالى: « فمال هؤلاء القدم لا يكادون يفقهون حديثا » .

واكتفى بهذا القدر من الأحاديث الطبية ، وقد سبق أن ذكرت طرفا آخر من الأحاديث الطبية فى الوصفات العلاجية .

العلاج النفسانى :

من السنة التى رغب فيها الرسول صلى الله عليه وسلم عيادة المرضى فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا سمع بمرض أحد أصحابه أسرع لعيادته وكان يسأل المريض عن شكواه وكيف يجد نفسه وعما يشتهيه. ويضع يده على جبهته ويدعو له ويصف له ما ينفعه فى علته وربما توضأ وصب على المريض من وضوئه ، ثم يقول للمريض لا بأس عليك طهور إن شاء الله روى ابن ماجة عن أبى سعيد الخذرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى الأجل فإن ذلك لا يرد شيئا وهو تطبيب لنفس المريض وفى هذا الحديث ارشاد إلى ما يطيب نفس المريض من الكلام الذى تقوى به طبيعة المريض فتساعده على تخفيف علته إذ أن إدخال الطمأنينة على نفس المريض من أهم أسباب الشفاء .

ومما يتصل بالعلاج النفسانى أن يشغل المهموم نفسه بغير سبب همه وأن يبتعد عن المكان الذى يذكره بسبب همه ففى الحديث الشريف .

« ما على أحدكم إذا ألح به الهم الا أن يتقلد قوسه » .

الطب في الدولة الأموية :

استمر المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين يرفعون من منزلة الطب ويتحدثون بما ورد منه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وماهو مأثور من أقوال الأطباء في الجاهلية ويتمسكون بالنصائح الطبية والعمل بها .

فلما كانت دولة بني أمية وكانت مظهرية الملك فيها أوضح من مظهرية الخلافة اتخذوا لأنفسهم أطباء خصوصيين واعتنوا بالطب والأطباء وبناء دور المرضى .

وقد حدثنا التاريخ أن معاوية رضى الله عنه اتخذ لنفسه طبيباً خاصا نصرانيا يدعى « ابن أثال »

فلما كان عهد الوليد بن عبد الملك وجه عنايته بالمصابين بالجذام والعمى والأمراض المزمنة ورتب لهم من يعنى بامرهم وكان له الفضل في بناء أول مؤسسة صحية في الإسلام وجعل فيها الأطباء ورتب لهم النفقات وأمر بحبس المجذومين خوف انتشار العدوى وأجرى عليهم الأرزاق .

وكان الأطباء إلى ذلك العهد يطببون بالطب الخشن الذي كان مستعملا في الجاهلية :

وكان الطب فى ذلك الوقت محصوراً فى اليهود والنصارى ، ولم يكن المسلمون قد رغبوا فيه أو غيره من العلوم لاشتغالهم بالفتوحات والحروب .

فلما بنى الوليد مؤسسته الصحية واحتاج إلى الأطباء عمل بالحديث الوارد عن الرسول صلى الله عليه وسلم القائل «استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها» وبالحديث الآخر «خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت» فاخذ يبحث عن أمهر الأطباء فى زمانه فقيل له أن جميعهم من النصارى واليهود فقال : إن الحرث بن كلده كان نصرانياً وقد سكن المدينة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يامر من به علة أن يأتيه فيستوصفه ما به من مرض . وأن سعد بن أبى وقاص وهو من أجلاء الصحابة أرسل إليه يستوضحه فى مرض نزل به وهذا دليل على أن استخدام غير المسلمين فى مثل ذلك جائز .

فاستقدم الوليد ومن جاء بعده من الخلفاء الأمويين من أطباء النصارى واليهود وكانوا يتولون فى الغالب رياسة الطب ، وبعضهم تعلم اللغة العربية ليشتغلوا بالترجمة فى دور الخلفاء تقربا من دولة العرب .

وأول من تعين فى تلك المناصب منهم راهب رومى كان عالما

بصناعة الطب يقال له « موريانوس» وهو الذى علم صناعة الطب والكيمياء ليزيد بن معاوية ثم لأبى هاشم خالد بن يزيد بن معاوية

وتلاه طبيب مترجم اسمه « اسطفانوس» وهو أول المترجمين لخالد بن يزيد ، ثم جاء من بعده « ما سرجويه » وهو يهودى سريانى اللغة وكان بارعا فى العلوم الطبية وقام بترجمة كتاب فى الطب من السريانية إلى العربية كان قد ألفه راهب نصرانى فى الاسكندرية هو القس « أهرون » وهو أول كتاب علمى بلغة العرب وكان ذلك فى خلافة مروان بن عبد الحكم .

ثم جاء بعد ذلك « ثيوذكس » و « ثيوذون» وهما طبيبان روميان كانا فى خدمة الحجاج بن يوسف الثقفى حاكم البصرة فى خلافة عبد الملك بن مروان .

الطب فى الدولة العباسية :

اشتهرت فى صدر الدولة العباسية أسرة مسيحية عرفت باسرة « بختيشوع» أولهم «جاورجيوس بن بختيشوع » دخل فى خدمة الخلفاء العباسيين فى عهد المنصور ثانى الخلفاء العباسيين حين أصيب بمرض عجز عن معالجته الأطباء الذين كانوا فى بلاطه فذكر أمامه هذا الطبيب فاستدعاه من جنديسابور فجاء إلى بغداد

ومعه تلميذه « عيسى بن شهلاثا » فلما مثل بين يديه دعا له بالفارسية والعربية فتعجب المنصور من حسن منطقه ومنظره وأمره بالجلوس ، ثم سأله عن أشياء اجاب عليها بسكون وهدوء ورزانة ، ثم أخبره عن مرضه فقال : إننى أدبرك بمشيئة الله وعونه . فطبيه حتى شفى من مرضة ففرح به وأكرمه وأنعم عليه بثلاث جوارى وثلاثة آلاف دينار فرد الجوارى وقال : إن ديننا لا يقبل الزواج باكثر من واحدة .

وفى سنة ١٥٣ هـ مرض جاورجيوس واستأذن فى الانصراف إلى بلده فعرض عليه المنصور الإسلام قائلا : يا حكيم اتق الله وأسلم وأنا أضمن لك الجنة فقال : قد رضيت حيث آبائى فى الجنة أو فى النار ثم بعد وفاته قام ابنه « بختيشوع » بما كان يقوم به أبوه وصار الطبيب الخاص لهرون الرشيد وفى أيامه ظهر يوحنا بن ماسويه الطبيب البارع صاحب المؤلفات الشهيرة التى منها كتاب علم التشريح والذى يروى عنه أنه حين أراد إجراء بعض الاختبارات التشريحية عزم على التضحية بابنه فمنعه الخليفة المعتصم بالله وحال بينه وبين هذا وبعث إليه بقردة من حديقته وبعد وفاة بختيشوع قام ابنة (جبريل) وكان طبيبا بارعا يروى ابن أبى أصيبعة فى كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء حادثة

جارية من محظيات الرشيد كانت قد تمطت فرفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها ، وعالجها الأطباء بدون جدوى واستدعى لها جبريل فطلب أن يؤتى بها إليه فى وسط الجمع ، كلما حضرت أسرع إليها ونكس رأسه وأمسك بذيل ثوبها كأنه يريد أن يكشفها فانزعجت من ذلك وكان من شدة الحياء أن استرسلت أعضاؤها وبسطت يدها إلى أسفل وأمسكت ذيلها وبرئت .

وقد بقى الطب فى هذه الأسرة كما بقيت عند الخلفاء إلى سنة ٤٥٠ هـ أى مدة ثلاثمائة سنة وفى هذه المدة اشتهر غير هؤلاء الأطباء من الهنود ، والقرى واليهود والنصارى عند الخلفاء منهم صالح بن بهلة ، وعبودى بن زيد ، وموسى بن إسرائيل الكوفى ، وأسرة الطيفورى ، وزين الدين الطبرى اليهودى ، وأبو يوسف يعقوب بن اسحق السباح الكندى المسيحى ، وقسطه بن لوقا ويحيي بن ماسويه الذى كان رئيس بيت الحكمة الذى أنشاه الخليفة المأمون ، ومن مؤلفاته كتاب البرهان ، والبصيرة ، والحميات ، والفصد والحجامه ، والجذام ، والأغذية ، وكتاب المعدة وكتاب فى الأدوية المسهلة .

وأشهر هؤلاء أبو زيد حنين بن إسحق العبادى الطبيب المشهور وهو تلميذ يحيي بن ماسويه وكان فى أيام الخليفة المامون

ولد سنة ١٩٤ وتوفى سنة ٢٦٠ هـ وكان رئيساً لمدرسة المترجمين .
ومن مؤلفاته : كتاب فى الأغذية ، وكتاب فى تدبير الناقهين ، وكتاب فى الأدوية المسهلة ، وكتاب أسماه : العشر مقالات فى العين وقد ترجمه « ما يرهوق » إلى الانجليزية .
وكان له ولدان ، أحدهما ــ « أبو يعقوب إسحق » وكان فيلسوفا ومؤلفا ومترجما وله «مصنفات مفيدة فى الطب» نظير مؤلفات أبيه .
والثانى ــ « داود » وكان كذلك ماهرا فى علم الطب .
ومنهم : إبراهيم بن ثابت بن قره الحرانى ، وكان صابئى المذهب مثل أبيه ، كما كان من حذاق الأطباء . وابن أخيه ــ أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قره الحرانى ــ وكان فى بغداد أيام «معز الدولة ابن بويه» وكان طبيبا عالماً ، وله كتاب عن العين والبصر .
وظهر أيام المقتفى أمر الله العباسى أمين الدولة : أبو الحسن هبة الله بن صاعد ، المعروف بابن التلميذ النصرانى . يقول ابن خلكان فى ترجمته : كان هبة الله أبقراط عصره وجالينوس زمانه ، ختم به هذا العلم ، توفى ببغداد سنة ٥٦٠ هـ .
ومنهم : أوحد زمانه ، أبو البركات هبة الله بن على بن ملكان الحكيم المشهور ، صاحب كتاب « المفيد » فى الحكمة ، وكان يهوديا ثم أسلم فى آخر عمره .

هؤلاء هم الذين اشتهروا ،ودخلوا فى خدمة الخلفاء ،واشتغلوا بالطب فى صدر الإسلام من غير المسلمين .

أما المسلمون : فقد كانوا فى شغل شاغل عن الطب ، بالفلسفة وغيرها من العلوم العقلية والجدلية ؛ بسبب ماقام بينهم من الأحزاب الدينية والسياسية .

فلما سكنت تلك الثورة عمدوا إلى الطب فاشتغلوا به وتوسعوا فيه ، وألفوا فيه المؤلفات الضخمة ،وزادوا فيه كثيراً من الحقائق ، وكانوا يعتمدون فى كل ما كتبوه على مؤلفات أبقراط وجالينوس بنوع خاص

وكانوا يعرفون أشياء كثيرة ، تناولوها عن غير اليونان ، كصناعة التقطير والتخمير ، ومما زادوه فى الطب : وصف الجدرى وتطعيمه ويقال : إن نساءهم قديما كن يعرفن التطعيم به .

وهم أول من وصف الحصبة ، وزادوا فى المواد الطبية كثيراً على ما وصفه اليونان كالسنا ، والرواند ، والتمر هندى ، وجوز الطيب ، وكبش القرنفل .

وهم أول من استحضر المياه والزيوت بالتقطير والتصعيد ، وأول من استعمل السكر فى العلاج ، وكان غيرهم يستعمل العسل .

وهم أول من جمل الوصفات العلاجية على قاعدة ، وأول

من وجه الفكر إلى شكل الأظافر فى المسلولين ، وأول من وصفوا علاج اليرقان ، والهواء الأصفر ، واستعملوا الأفيون بمقادير كبيرة فى علاج الجنون . ووصفوا صب الماء البارد لعلاج قطع النزيف الدموى ، وعالجوا خلع الكتف بالطريقة المعروفة فى الجراحة : برد المقاومة الفجائى .

ووضعوا إبرة الماء الأزرق فى العين ، وأشاروا إلى عملية تفتيت الحصاة ، وطريق الشق تحت الجلد ، واستعملوا البنج وهو : تخدير المريض لإجراء العمليات الجراحية ، وكانوا يستعملون لذلك « الشيلم » .

وهاكم أسماء من اشتهر منهم :

أشهر الاطباء المسلمين ومؤلفاتهم :

١ — يزيد بن معاوية الأموى ، الذى توفى سنة ٨٥هـ وكان أعلم قريش بالطب ، وأقدم من ظهر من العرب المسلمين فى علم الطب والكيمياء ، وقد تتلمذ على موريانوس الراهب ، وألف ثلاثة كتب ، يتضمن الأول: حكايته مع أستاذه موريانوس ، والثانى صورة ما تعلمه منه ، والثالث تفسير الرموز التى أشار إليها .

٢ — أبو هاشم ـ خالد بن يزيد بن معاوية ـ .

٣ — خالد بن يزيد بن مروان ، الذى كان يسمى بحكيم آل مروان .

٤ — أحمد بن إبراهيم طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك الأموى ، الذى توفى فى أوائل القرن الثانى للهجرة ، وله كتاب فى الطب ، استخلصه من كتب أبقراط ، وسماه « أصول الطب » كما ألف رسالة فى النبات المستعمل فى الطب .

٥ — أبو بكر محمد بن زكريا الرازى المتوفى سنة ٣٢٠ هـ وكان ماهرا فى الطب والمنطق والهندسة والموسيقى ، وكان رئيس الأطباء فى بيت الشفاء ببغداد ، بعد أن نظم مارستان الرى . أخذ الطب عن الحكيم أبى الحسن بن زيد الطبرى ، صاحب كتاب « فردوس الحكمة » .

ومن مصنفاته فى الطب : كتاب « الحاوى » ويقع فى ثلاثين مجلدا ، وله رسائل فى الأعصاب والجدرى والحصبة ، ويعتبر الرازى : أول من وصف بدقة ووضوح مرض الجدرى والحصبة ؛ ولهذا ترجمت رسائله فى الجدرى إلى اللغة اللاتينية فى البندقية سنة ١٤٩٨ ، وقد قيل : كان الطب معدوما فأحياه جالينوس ، ومتفرقا فجمعه الرازى ، وناقصا فكمله ابن سينا . ومن مؤلفات الرازى ـ عدا ما تقدم كتب الجامع ، والأعصاب ، والمنصورى ،

وكان قد ألف كتابه الأخير لأبي صالح منصور بن نصر الساماني وسماه باسمه ، وجمع فيه العلم والعمل .

ومن كلام الرازي في الطب : إذا قدرت أن تعالج بالأغذية فلاتعالج بالأدوية ،وإذا قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلاتعالج بدواء مركب ، وإذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما أقل مكث العلة .

٦ — ابن سينا وهو الشيخ الرئيس ـ أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا البخاري ـ ولد سنة ١٧٠ وتوفي سنة ٢٢٨ هـ وهو عمدة الحكماء وشيخ العلماء ، وأرسطو الإسلام .

مؤلفاته في الطب: ١ — القانون ، ويقع في أربعة عشر جزءا ٢ — الشفاء ، ويقع في ثمانية عشر جزءا . ٣ — الألفية ٤ — الفولج ٥ — الأدوية القلبية ٦ — رسالة في المندياء ٧ — رسالة في النبض ٨ — منظومة في الطب . وقد قسم في كتابه ـ القانون ـ الألم إلى خمس عشرة درجة ، ثم سجل لعلاج هذه الأمراض مايزيد على ٧٦٠ دواء ، كما تعرض فيه لكثير من أمراض الحب وكيف تعالج .

ويروى عنه في هذا المقام : أنه عرض عليه يوماً أحد أقرباء الحاكم في إقليم مجاور مريضاً بداء أعي الأطباء ، وفحص ابن سينا المريض فلم يجد لديه علة يصح أن يشكو منها ، فطلب استحضار

شخص يعرف كافة بلاد الإقليم وقراه ؛ لكى يعدد أسماءها على مسمع من المريض ، وأمسك ابن سينا بيد المريض يجس نبضه ، فلاحظ اضطراباً فى النبض عند ذكر بلدة معينة ؛ وعند ذلك طلب ابن سينا شخصاً يعرف كل الأحياء والشوارع والمنازل فى تلك البلدة ، واستمر يجس نبض المريض ، فلاحظ عودة اضطراب النبض عندما ذكر الشخص اسم شارع معين ، وتكررت ظاهرة الاضطراب فى نبض المريض عند ذكر منزل معين ، ثم عند ذكر فتاة معينة من سكان هذا المنزل ، وعند ذلك قال ابن سينا : إن الغلام عاشق للفتاة المذكورة ، وعلاجه الزواج منها ، وتم الزواج وكان الشفاء .

ويعتبر كتاب القانون دائرة معارف طبية ما برح نبراسا يستضىء به أساتذة الطب فى أوربا وآسيا مدة ستة قرون ، وقد ترجم إلى أكثر لغات أوربا .

٧ — أبو على ـ يحي بن جزله ـ المتوفى سنة ٤٩٧ هـ وكان يطبب أهل محلته ومعارفه بلا أجر ، ويحمل إليهم الأشربة والأدوية بغير عوض ، ويتفقد الفقراء ويحسن إليهم .

مؤلفاته : ١ — المنهاج الذى رتبه على الحروف المعجائية ، وجمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والأدوية . ٢ — تقويم

الأبدان . ٣ — منهاج البيـــان فيما يستعمله الإنسان . ٤ — الإشارة فى تلخيص العبارة . ٥ — رسالة فى مدح الطب وموافقته للشرع .

٨ — الإمام فخر الدين الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ . بمدينة هرات .

مؤلفاته فى الطب : ١ — شرح الكليات للقانون . شرح الإشارات لابن سينا . ٣ — الملخص . ٤ — شرح عيون الحكمة .

٩ — الفارابى ـ المتوفى بدمشق سنة ٣٣٩ هـ وتعتبر شهرته فى الطب أقل من شهرته فى غيرها من العلوم الأخرى .

١٠ — عيسى بن موسى — ويعتبر من أشهر أطباء العيون ، عاش ومارس الطب فى بغداد فى النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى ، وكان كتابه «تذكرة الكحالين» خير ما كتب فى موضوع العيون ، وقد اعتمد عليه جميع أطباء العيون ، وأهملوا كل مؤلف سواه .

١١ — لسان الدين بن الخطيب ـ الذى أثبت أن مرض الطاعون ينتشر بواسطة العدوى ، وذلك فى عصر لم تكن فيه الجراثيم والميكروبات المعدية معروفة لأحد .

١٢ — الطبرى ـ وهو أول من اكتشف الحشرة التى تسبب داء الجرب .

١٣ — أبو الحسن ـ على بن النفيس ـ وهو أول من وصف الدورة الدموية الرئوية ، قبل أن يكتشفها «سرفينوس» البرتقالى بثلاثة قرون ، وهو صاحب كتاب « شرحة نشر » القانونى فى الطب .

١٤ — أبو يوسف الكندى ، الذى ذاعت شهرته كطبيب وفيلسوف وفلكى ورياضى فى عصر المأمون والمعتصم اللذين اتخذاه طبيباً لهما .

ومن آثاره الخالدة : ترجمة كتاب المجسطى لبطليموس عن اليونانية ، كما راجع الترجمة العربية لأرسطو ، ويقال : إنه ألف أكثر من مائتى كتاب ، منها اثنان وعشرون فى الطب

كما حاول تاسيس طريقة مضبوطة فى فن تركيب الأدوية .

الطب فى الأندلس :

لم يكن الطب فى الأندلس باقل منه فى العصر الأموى والعباسى ، فقد حدثنا التاريخ الطبى عن نهضة الطب فى بلاد الأندلس ، وكيف ساير تقدمه تقدم العلوم الأخرى المختلفة ، وازدهار الحضارة الإسلامية فى بلاد الأندلس .

وقد استفاد الأوريبون من كتب الطب الأندلسية ، وترجموا أغلب هذه الكتب إلى اللغة اللاتينية واليونانية ، وكانت تدرس علوم الطب فى جامعات أوروبا على أساس المؤلفات الإسلامية الطبية .

وأول من اشتهر فى الطب فى بلاد الأندلس .

١ — أحمد بن إياس القرطبى — وكان ذلك فى عهد الأمير محمد .

٢ — يحيى بن اسحق — وكان طبيبا للأمير عبدالله بن محمد وقد استوزره الخليفة عبدالرحمن الناصر ، وله فى الطب مؤلفات كثيرة .

٣ — أبوعبدالله — محمد بن عبدون القرطبى — والذى رحل إلى إلى مصر سنة ٣٣٧ هـ ونظم مارستان مصر « المستشفى » .

٤ — الوزير — أبو المطرف عبدالرحمن بن شهيد — مؤلف كتاب « الأدوية المفردة » ويقول عنه المقرى : إنه كان آية فى الطب وغيره ، وقد جمع فى كتابه السابق الأدوية المفردة ورتبها على حسب قوتها ودرجتها ، وكان لا يرى التداوى بالأدوية ما أمكن التداوى بالأغذية ، وإذا اضطر إلى التداوى بالأدوية فلا يرى التداوى بالمركبة ، ماوجد سبيلا إلى الأدوية المفردة .

٥ — أبو القاسم الزهراوى — وهو طبيب عبد الرحمن

الثالث ، وشيخ جراحى الأندلس ، ولد فى الزهراء قرب قرطبة فى القرن الخامس الهجرى ، وقد نبغ فى الطب والجراحة وترجمت كتبه فيهما إلى اللاتينية .

أشهر مؤلفاته : ١ ـ رتبة الحكيم ٢ ـ غايات الحكيم ، وقد ترجمهما إلى اللاتينية الملك الفونسو فى القرن الثالث عشر ٣ ـ التعريف لمن عجز عن التأليف ٤ ـ كتاب فى أمراض النساء ٥ ـ كتاب فى الجراحة ٦ ـ كتاب فى الأدوية ، وكلاهما ترجم إلى اللاتينية ودرس فى جامعة اكسفورد . وهو أول من ربط الشرايين لوقف النزيف ، وأول من استعمل الحرير وأوتار العود بهيئة خيوط للربط فى الجراحة ، كما أدخل استعمال محلول الملح فى غسل الجروح ، ويقول عنه الدكتور نجيب محفوظ إنه كان فخر الجراحة العربية .

٦ ـ أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل ـ وهو الذى شرح أسماء الأدوية المفردة وأوضح ماغمض منها فى كتابه « تفسير أسماء الأدوية المفردة » .

٧ ـ ابن البيطار عبدالله بن أحمد الملقب بضياء الدين ، وقد كان من أنبغ الأطباء فى عصر الموحدين الذى يعتبر بحق العصر الذهبى لعلوم الطب . وقد رحل إلى مصر فى أيام الملك

الكامل وعين طبيباً فى خدمته ، ثم طبيبا للملك الصالح نجم الدين أيوب ، وقد عنى بدراسة النبات والأعشاب بمصر والشام وله عدة مصنفات فى الحشائش لم يسبق إليها منها : ١ ـ كتاب «الجامع فى الأدوية المفردة » ٢ ـ وكتاب المغنى فى الأدوية المفردة ٣ ـ الأفعال الغريبة والخواص العجيبة ، وتوفى بدمشق بعد أن تجرع عقارا قاتلا فات من ساعته .

٨ ـــ أبو مروان عبد الملك بن محمد بن زهر من أشراف أشبيليه ومن أسرة اشتهرت بالطب وكان جدهم الأكبر عبد الجبار ابن أبى سلمة القرشى الزهرى قد دخل بلاد الأندلس مع موسى ابن نصير واستقر أعقابه فى أشبيلية وقد مال ابن زهر إلى التفنن فى أنواع التعليم من الطب وغيره . كما رحل إلى بلاد الشرق .

٩ ـــ أبو العلاء زهر بن عبد الملك . كان عالما فى الطب عارفا بالعلاجات الدقيقة . واستدعاه ابن المؤمنين يوسف بن تاشقين إلى مراكش لعلاجه .

١٠ ـــ عبد الملك بن أبى العلاء ، وكان من أنبغ الأطباء والمؤلفين فى علم الطب وقد ألف الكتب الآتية ١ ـــ التيسير . ٢ ـــ الأغذية . ٣ ـــ الترياق السبعين .

١١ ـــ أبو بكر محمد بن أبى مروان بن زهر ، وهو طبيب

أشبيليه الأوحد استوزره خليفة الوحدين أبو يوسف يعقوب المنصور وقد توفى سنة ٥٩٥ هـ وأمر أن يكتب على قبره الأبيات الآتية :

تأمل بفضلك يا واقفاً ولاحظ مكاناً دفعنا إليه
تراب الضريح على صفحتى كأنى لم أمش يوماً عليه
أدارى الأنام حذار المنون فها أنا قد صرت رهناً لديه

١٢ — أبو محمد عبد الملك المشذوبى الذى ذاع صيته فى الطب فى عهد دولة الموحدين .

١٣ — أبو العباس بن الرومية الأشبيلى ، وله كتاب قيم فى الأدوية المفردة .

١٤ — ابن رشد الفيلسوف الأندلسى المشهور ولد فى قرطبة سنة ٥١٤ وتوفى سنة ٥٩٥ هـ وقد اشتهر بالطب كما اشتهر بغيره وله فى الطب المؤلفات الآتية :

١ — ثلاثون مؤلفاً فى شرح كتب جالينوس . ٢ — شرح أرجوزة ابن سينا فى الطب. ٣ — تلخيص كتاب الاستقصاءات لجالينوس. ٤ — تلخيص كتاب المزاج . ٥ — تلخيص كتاب العلل والأمراض . ٦— تلخيص كتاب الحميات . ٧— تلخيص

كتاب الأدوية المفردة . ٨ — تلخيص كتاب حيلة البرء لجالينوس .

وقد ساهمت مدرسة الترجمة بطليطلة فى القرن الثانى عشر بنصيب فى ترجمة كتب الطب الأندلسية التى تجاوزت شهرتها آفاق أوروبا ، كما درست علوم الطب فى الجامعات الأوربية على أساس المؤلفات الأندلسية وغيرها .

الطب فى العراق :

اشتهر فى العراق كثير من الأطباء نذكر منهم .

١ — الرئيس ابن سينا البخارى وقد تحدثنا عنه تحت عنوان أشهر الأطباء المسلمين .

وقد سبق أطباء العرب جميعا فى معرفة التأثير المتبادل بين الأحوال النفسية والأمراض الجنسية وقد عنى بمرض العشق وطرق علاجه فقال : إن العشق مرض وسواس يشبه « المالينخوليا » يجلبه انسان إلى نفسه بتسليط فكرة على استحسان بعض الأمور كالصور والشمائل ثم تعينه على ذلك شهوته ويتغير إلى فرح وضحك أو إلى غم وبكاء عند سماع الغزل ولا سيما عند ذكر الهجر والنوى ويكون نبضه مختلفا كنبض أصحاب الهموم .

ويعتبر ابن سينا أول من اكتشف مرض السل الرئوى ، ووصف الشلل النصفى وعالج الأمراض العصبية والعقلية ، كما وصف عضلات العين ووظائفها .

٢ — على بن عباس: وهو الذى ألف الكتاب « الملكى » لعضو الدولة وهو مجموعة شاملة للطب النظرى والعملى فى عشرين مجلدا ، كما أثبت أن الطفل لا يخرج من تلقاء نفسه أثناء الوضع بل نتيجة تقلصات الرحم .

٣ — على بن عيسى : أشهر أطباء العيون فى عصره ، وقد شرح فى مؤلف له ١٣٠ نوعا من أمراض العيون ووصف لعلاجها ١٤٣ دواء ، وله رسالة فى تشريح العين وأمراضها الظاهرة والباطنة وقد ترجمت هذه الرسالة إلى اللغة اللاتينية ، وكان لها أثر بالغ فى أوروبا .

٤ — ابن بطلان المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون ، وكان معاصرا لعلى بن رضوان الطبيب المصرى وقد سافر إلى مصر لمشاهدته سنة ٤٤١ وأقام بها ثلاث سنوات فى عهد المستنصر بالله الفاطمى وفى آخر أيامه سئم كثرة الاسفار فآثر العزلة ونزل ببعض أديرة انطاكية وترهب وانقطع للعبادة إلى أن توفى سنة ٤٤٤ ولم يتخذ أمراة ولم يترك ولدا . وفى هذا يقول

ولا أحـد إن مت يبكى لميتتى
سوى مجلس فى الطب والكتب باكيا

مؤلفاته : بلغت مؤلفاته ثلاثة عشر مصنفا أشهرها ثلاثة .

١ — تقويم الصحة فى قوى الأغذية ورفع مضارها (مخطوط)
٢ — رسالة فى اشتراء الرقيق ٣ — رسالة دعوة الأطباء .

٥ — يوحنا بن ماسوية الذى ولد فى جنديسابور ثم عين رئيسا لمدرسة الطب فى بغداد وكان من أطباء هرون الرشيد .

٦ — حنين بن اسحق النسطورى — ولد ببغداد وسافر إلى بلاد اليونان وتعلم العربية بالبصرة ويعتبر كتابه الذى استعرض فيه طريقة جالينوس فى الطب من أهم الكتب المدرسية التى قامت عليها دراسة الطب فى أوروبا فى العصور الوسطى وقد ترجم إلى اللاتينية .

الطب فى مصر

العصر الفاطمى

بعد أن استتب الأمر للفاطميين فى مصر قاموا ببنـاء دار الحكمة فكانت اللبنة الأولى فى نهضة العلوم المختلفة وقد نبغ كثير من ابناء هذه الدار فى الطب والصيدلة نذكر منهم :

١ — أبو عبد الله بن سعيد التميمى وله فى الصيدلة كتاب « المرشد إلى جواهر الأغذية وقوى المفردات » .

٢ — أحمد بن يحيى البلدى ، وألف فى الطب كتاب « تدبير الحبالى والأطفال » .

٣ — أبو القاسم عمار بن على الموصلى — وألف كتابا فى طب العيون أسماه « المنتخب » فى علاج العيون .

٤ — على بن رضوان — وكان معاصرا للمستنصر بالله الفاطمى — وله فى الطب شهرة اعترف بها كثير من أطباء عصره .

العصر الأيوبى :

إزدهر الطب فى العصر الأيوبى وتعددت فروعه وكان هناك أطباء للأمراض الباطنية وأطباء لأمراض العيون وكان طبيب العيون يسمى « كحالة » . كما كان هناك جراحون وإخصائيون فى علاج العظام وكان طبيب العظام يسمى « مجبرا » .

وقد تأثر الطب فى الدولة الأيوبية بالثقافة اليونانية إلى حد ما ، وكانت كتب جالينوس تدرس فى ذلك الوقت وأخصها كتاب « منافع الأعضاء » وكتاب « الفيض » وكتاب « المزاج » كما اهتمت الدولة الأيوبية بالطب البيطرى لكثرة إستخدام

الخيول فى الحروب وغيرها . وقد اشتهر من الأطبـــاء فى هذا العهد .

١ — أحمد بن الحـاجب وكان من أطباء صـــلاح الدين الأيوبى .

٢ — أحمد بن خليد الفلتى المتوفى سنة ٥٦٠ هـ وقد ألف كتاب « جامع المفردات » .

٣ — أبو الفرج غريتوس المعروف بابن العبرى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ .

٤ — إسامة بن منقذ الذى ألف كتاب «الاعتبار» فى الطب

٥ — محمود بن عمر بن رقيقه وكان ذا قدره على نظم الكتب الطبية رجزا فى سهولة ويسر وسرعة تدعو إلى الدهش

٦ — ثم جاء من بعد هؤلاء ابن النفيس أبو الحسن على وكان رئيسا لمستشفى قلاوون وهو أول من وصف الدورة الدموية الرئوية قبل أن يكتشفها « سرفينوس » البرتغالى بثلاثة قرون وهو صاحب كتاب « شرحة نشر » .

٧ — أحمد بن عبد المنعم الدمنهورى حضّر وألف فى علاج البواسير وعلم التشريح وعلاج لسع العقرب ويقول فى بعض مؤلفاته أخذت هذا عن سيدى أحمد القرافى الحكيم بدار الشفاء

وقرأت عليه كتاب الموجز ، واللمحة العفيفية في أسباب الأمراض وعلاجها وعلاماتها . وبعضا من قانون ابن سينا ومنظومته الكبرى .

أشعار العرب والمسلمين في الطب :

من دلائل شغف العرب والمسلمين الذين اشتغلوا بالطب أنهم نظموا فيه القصائد الشعرية والأراجيز كما كان الشاعر المحب منهم يمزج في شعره بين الحب والطب .

يقول الشاعر العربي متغزلا :

رآني الله ياسلمى حياتي وفي يوم الحساب كما أراك
إلى كم تهجرين فتى معنى إذا خدرت له رجل دعاك

ويقول الآخر :

ما كان في الرأس أخرجه بغرغرة
فالقيء يخرج ما في الصدر من عفن
وكل ما كان في صلب فذلك
لا يسيل إلا بأخلاط من الحقن

ويقول الآخر :

على الريق في البرد احس ماء ساخناً
وفي الصيف ماء بارداً حين تصبح

وذلك فيما قيــل فيه مصحــة
وذاك على إدمــانه الجسم يصلح

ويقول الشاعر المصرى ابن رقيقه :

توق الامتلاء وعد عنه ... وإدخال الطعام على الطعام
وإكثار الجمــاع فإن فيه ... لمن والاه داعيــة السقام
ولا تشرب عقيب الأكل ماء ... فتسلم من مضرات عظام
ولا تتحركن عقيب أكل ... وصيــر ذاك بعد الانهضام
وفصد العرق نــكب عنه إلا ... لذى مرض رطيب الطبع حام
وخل السكر واهجره مليا ... فإن السكر من فعل الطغام

المرأة والطب :

لـــا كانت العصور الأولى ترى ان المرأة وظيفتها البيت حيث تقوم على شئون زوجها وتربية أولادها وإصلاح بيتها ، ورعاية شئونها فقد قل اهتمام المرأة بمزاولة الطب وغيره من مختلف العلوم وتاريخ العصور الإسلامية يكاد يخلو من الحديث عن المرأة كطبيبة إلا ما جاء فى بعض كتب السيرة والحديث فى شأن السيدة عائشة أم المؤمنين فى صدر الإسلام .

فقد روى عن عروة أنه قال : « ما رأيت أعلم بالطب

من عائشة ، فقلت : يا خالة من أين تعلمت الطب ؟ قالت : كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه » .

وفى رواية أخرى عنه قال : « قلت لها يا أماه لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول بنت أبى بكر وكان من أعلم الناس به ، ولكن أعجب من علمك بالطب فكيف هو ؟ وأين هو ؟ فضربت على منكبيه وقالت : أى عريّه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم فى آخر عمره ، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه ، فتنعت له الأنعات — وفى لفظ آخر ، وكان أطباء العرب والعرب والعجم ينعتونه وكنت أعالجها فمن ثم » .

أما فى العصور الإسلامية المتأخرة فقد حدثنا تاريخ الأندلس بأنه قد برع فيها كثير من النساء فى الطب والجراحة وكن يعملن العمليات الجراحية فيما يختص بالنساء ومنهن :

١ — شقيقة الحافظ بن زهر وبناتها وكن قد تخصصن فى طب النساء والأطفال وكن الوحيدات المسموح لمن بمعالجة حرم المنصور بن أبى عامر وارث الخلافة الأموية بالأندلس .

٢ — ومنهن زينب طبيبة بنى أود وكان أخص ما برعت فيه علاج العيون بالجراحة وإجراء العمليات المختلفة .

الصيدلة :

فن الصيدلة قديم فقد عرفه قدماء المصريين فكان الكهنة يعرفون فائدة النباتات ويستخدمونها فى تعزيز تعاويذهم ويلمون بقدر كبير من الكيمياء يسمح لهم بتحضير المراهم والمداد والزجاج بل إن كلمة كيمياء أصلها « شيما » وهى كلمة مصرية قديمة لها نفس المعنى .

وإلى الكهنة يرجع الفضل فى إدخال كثير من الوصفات الصحية بحجة الدين مثل حظر أكل الخنزير والبجع والصيام أربعين يوما كل عام مع تجنب العلاقات الجنسية ، وتعاطى شرب « الفامكى » مرة كل شهر والاستحمام مرتين كل يوم .

وكانوا يراعون فى تركيب الأدوية الدقة المتناهية فى الوزن فقد وجدت مثاقيل يزن بعضها ٢،٠ من الجرام وكانوا يسمون بعض العقاقير أسماء سرية لا يعرفها إلا فئة مختارة .

فعرفوا استخدام الفيروز والذهب والفضة للطلاسم والشب وكربونات النشادر والجير وصدأ النحاس وأملاح الحديد

والمانيزيا وسلفات الزئبق وأملاح الرصاص والبوتاسا والصودا كما عرفوا فوائد نباتات الخردل والخشخاش وخانق الذئب والصبر واللوز والشبت والأيسون وشعر الجن والبابونج والخروب والقرطم والحبهان والكمون والهندباء والحلبة والتين والعرعر والسكران والكتان والزئبق والخردل والعفص وجوزة الطيب وحبة البركة والأفيون والبلح والفجل والخروع والزعفران .

ومن المواد الحيوانية عرفوا العسل ولبن البقرة ولبن الحمارة ولبن الماعز ولبن المرأة وكبد الثور والعجل والخنزير ورأس بعض الأسماك وصفراءها .

وكانوا يصفون العقاقير شرابا أو فعلية أو منقوعة أو حبوبا أو مسحوقا .

كما كانوا يستخدمون اللبخ واللزق والنقط والمراهم والسعوط واستخدموا اللبوس والغسول المهبلي مستعينين بآلة على هيئة قرن مجوف ينتهي بطرف مدبب يشبه منقار الطير .

كما اكتشفوا العلاج بالحقن الشرجية عندما لاحظوا أن طير أبو منجل يدخل منقاره الطويل في شرجه لتنظيف أمعائه .

وكان الطبيب يعد الأدوية بنفسه . وكانوا يعتقدون في السحر وأن كل شيء في الطبيعة مشحون بقوة سحرية وله قوة خفية خاصة

الصيدلة عند العرب :

يعتبر العرب أول من أنشأ الصيدلة بعد أطباء قدماء المصريين فقد أقام أطباء العرب فى بغداد أول صيدلية منظمة تمد الناس بالأدوية والعقاقير كما وضع علماؤهم كثيراً من المصنفات والرسائل المتعددة فى الأدوية المفردة والأغذية وفى الصيدلة والطب وتركيب الأدوية ورتبوا بعضها ترتيباً خاصاً يسهل على المشتغل والقارىء معرفة منافع كل دواء وماهيته واختياره ثم وصفوا طبيعته ومفعوله وخواصه — واخترعوا الكحول والأشربة والمستحلبات والخلاصات العطرية .

وكان ابن سينا صاحب كتاب القانون فى الطب يغلف الحبوب التى كان يصفها للمرضى .

وعرف العرب ما كان يسمى بالترياق وهو دواء كان يتركب من عشرات وربما مئات من الأدوية وقد حسنوا تركيب الأفيون والزئبق ، وأول من استعمل الأفيون والحشيش وغيرها فى أغراض التخدير الذى يسبق الجراحة .

وعن العرب أخذ الافرنج فقد تحقق عندهم أن العرب وضعوا أسس الصيدلة واستنبطوا أنواعا كثيرة من العقاقير تدلنا على ذلك

أسماؤها التى وصفها العرب والتى لا تزال على وضعها عند الغربيين وقد جمعها « ليكرك » فى مؤلفاته وأتى عليها بنصها العربى وما يقابلها من النص اللاتينى ومن مقابلة النصين يتجلى الاقتباس من اللغة العربية واللفظ العربى .

وقد حدثنا التاريخ عن كثير ممن اشتهروا من العرب فى فن الصيدلة نذكر منهم :

١ — سابور بن سهل — وهو أول طبيب وضع دستور الأدوية الذى لم يكن معروفا عند اليونانيين .

٢ — ابن البيطار — وهو أول عالم عربى ألم بخواص النباتات ووضع فيها كتابه « الجامع الكبير » الذى حوى وصفا دقيقا لألفين منها ، وكتاب « المغنى فى الأدوية المفردة » ، وكتاب « الأفعال الغريبة والخواص العجيبة » .

٣ — ابن سينا — الذى ألف كتاب القانون وقسم فيه الألم إلى ١٥ درجة وسجل لعلاج هذه الأمراض ما يزيد على ٧٦٠ دواء .

٤ — أبو على يحيى بن جزله — وقد ألف فى الأدوية كتابه المسمى « المنهاج » الذى رتبه على الحروف الهجائية وجمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والأدوية .

٥ — الوزير عبد الرحمن بن شهيد الاندلسى الذى جمع فى كتابه « الأدوية المفردة » الكثير من العقاقير ورتبها على حسب قوتها ودرجتها وكان يرى التداوى بالأغذية ثم الأدوية المفردة .

٦ — الإمام الرازى الذى وضع أول كتاب عن الأعشاب اليونانية بالفارسية وعنوان كتابه هذا « كتاب الأبنية عن حقائق الأدوية » الذى يحتوى على وصف ٥٨٥ عشبة .

وقد رفع ابن البيطار بعده فى كتابه « المفردات » هذا العدد إلى ١٤٠٠ .

٧ — أبو عبد الله بن سعيد التميمى الذى عاش فى مصر وألف كتابا فى الصيدلة أسماه « كتاب المرشد إلى جواهر الأغذية » كما ألف كتابا آخر فى « قوى المفردات » .

٨ — داود الانطاكى — صاحب كتاب « تذكرة داود » المشهورة الذى جمع فيه الكثير من أسماء النباتات وخواصها الطبية والذى يعتبر مرجعا هاما لمن يشتغلون بالطب .

« والحمد لله الذى هدانا لهذا

وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله »

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٦/٣٨٧٢

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٠٢٩ - ٩

٢٥ قرشــا

مطابع الهيئة المصرية